روايات عبير

نظرة حب

WWW.REWITY.COM

مرمورية

Clarisse DARSAC

N° 628

روايات عبير

أحياناً لا يكون الجمال سوى قناع.
فمن يستطع أن يرى الحقيقة؟
وهل سينفتح القلب الخالي من المظاهر الخداعة
لحب جديد؟

www.rewity.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-443-06-8
9 789953 443065

الغلاف الأمامي

في قصور فاخرة يعيشون حياة مرفهة.

إنهم "ماجالي"، "چاك"، "إيزابيل" و"چورچ".

يتدخل القدر وينسج خيوطه، ليبعد من كان قريباً، ويقرب من كان بعيداً، ولكن في النهاية تبقى المشاعر الصادقة التي تستطيع أن تقاوم جولات القدر القاسية.

WWW.REWITY.COM
مـــر مـــوريـــة

شخصيات الرواية

أسرة "بريمونتيه":

- "أديلي بريمونتيه" : الجدة الثرية.
- السيد والسيدة "بريمونتيه" هما والدا ثلاث بنات.
- التوأم: "ماجالي" و"إيزابيل".
- الابنة الصغرى: "بيبي".

أسرة "بيوميراك":

- "بول بيوميراك" والسيدة "بيوميراك" والدا "چاك بيوميراك" خطيب "إيزابيل".
- الطفل "باسكال بيوميراك". ابن أخي السيد "بيوميراك".
- "چورچ مونيه" خطيب "ماجالي".

الفصل الأول

أزهرت حدائق "بيمراك" بالفساتين الزاهية بألوان الموضة لهذا الصيف.

تحت شجرة بلوط ضخمة جلست فتاتان تأملت إحداهما فستانها الحريري الأخضر في حزن. وقد بقعه عصير الخوخ الذي كانت تشربه. هذه الفتاة تدعى "بولين مالفوازين" وكانت هذه هي أول نزهة خلوية لها. كانت تعرف أن فستانها يضخم حجمها ويجعلها تبدو كالكرنبة. كانت سعيدة جداً وتشعر بالإثارة. لقد دعاها نفس الشاب ثلاث مرات للرقص. في سن السابعة عشرة أليس ذلك كافياً ليجعلها تحلم.

كانت الفتاة الأخرى شقراء في هذا اللون الأشقر الرقيق الذي يحاول مصففو الشعر الوصول له دون نجاح. لون فضي ينساب بين تموجات شعرها الطبيعية الذي يبدو وكأن القمر يغرقه بلونه متوافقاً بشكل ساحر مع وجهها الرقيق. تلك الفتاة التي تدعى "ماجالي بريمونتيه".

على الرغم من ذلك لم تكن من هؤلاء الفتيات اللواتي يلفتن النظر من الوهلة الأولى بجمالهن. لم تكن ملامحها قد فقدت بعد ملامح الطفولة. لون بشرتها الوردي الذهبي ليس به شائبة. عيناها الخضراوان من ذلك النوع الذي لا يمكن نسيانه. عينا غزال مليئتان بالدفء والحنان لا يوجد ما لوثهما أو أفقدهما بريقهما. إنهما تعكسان في هذا اليوم شيئاً من الحزن مما حير "بولين مالفوازين".

- ماجالي"!

التفتت إليها بنظرة النائم الذي خرج من حلمه.

- لا تبدين سعيدة يا "ماجالي"! إنهم كادوا يعلنون خطبتك اليوم.

ابتسمت "ماجالي" في رقة:

- أوه! تعرفين! إنها خطبة "إيزابيل" على الأرجح. أما أنا فليس هناك شيء رسمي.

سعلت "بولين":

- بالمناسبة، أين "چورچ"؟

اتسعت عينا "ماجالي" الخضراوان.

– لكن... لست أدري:

نظرت إليها "بولين" بدهشة. كيف لا تنشغل بمعرفة مكان "جورج مونيه" حتى لو كانت خطوبتهما غير رسمية؟

ولو كانت مكانها...

أجابت "ماجالي" كأنها تتحدث عن شخص لا تعرفه:

– لابد أنه يتحدث مع والده في قضية ما.

قال فجأة صوت خلفهما:

– أهلاً.

انقسمت فروع الشجرة إلى قسمين، وظهر في هذا المشهد فتاة رائعة الجمال.

– إنها توأم "ماجالي" وهي تبدو أكبر منها سناً ولكن تشابههما يثير الدهشة. فقط "إيزابيل" هي التي قد ورثت بشرة والدتها السمراء وعينيها شديدتي السواد. كانت "ماجالي" تحب أختها بدون تحفظ وتجد أنها أكثر جمالاً منها، وأنها تتمتع بثقة بالنفس ليست لديها.

قالت وهي ترجع للوراء قليلاً حتى ترى هذه الصورة الجميلة التي تشكلها "إيزابيل" في فستانها الأبيض بين فروع الشجرة العجوز.

– أنت جميلة جداً.

ابتسمت "إيزابيل" ونظرت إلى فستان أختها البسيط الساذج من القماش اللينو الأبيض ومنقط بالوردي والصدر مقفول بكولة مستديرة. اشترك الحذاء في التأكيد على المظهر الشبابي لملابسها كلها.

كان ما يغيظ "إيزابيل" أن الواحد والعشرين سنة لتوأمها لا تشبه سني عمرها.

على الرغم من ذلك فقد طلب "جورج مونيه" هذه الطفلة للزواج. لو لم تتدخل "إيزابيل" لأعلن عن الخطوبتين في نفس الوقت. لحسن الحظ كانوا يستمعون إلى "إيزابيل".

لقد هنأت "ماجالي" نفسها على هذا التأخير. إنها تردد في كل ليلة "أنا مخطوبة"، "أنا مخطوبة". كان ذلك شيئاً يصعب تحقيقه. ولكن كان "جورج" هادئاً وصبوراً.

من ناحية أخرى، أصيبت السيدة "بريمونتيه" والدة "إيزابيل" و"ماجالي" بالصداع لأن "ماجالي" كانت مترددة في أن تقول "نعم".

استدعت الأم "ماجالي" وتأثرت بمظهرها ممددة على السرير بدون ماكياج وملامحها عابسة وحزينة.

– "جورج" هو الأجمل في "بيريجو"...

ومصنع المنتجات الكيماوية الذي يديره ملكاً لوالده يعد ضمن الشركات القوية التي لا تفنى أبداً! بالتأكيد لا يمكن التفكير في أن تضحي فتاة صغيرة من أجل والديها... ولكن في الحقيقة إذا تزوجت هذا الولد فهناك عدة أشياء يستطيع والدك وأنا القيام بها... هي أن تموت في سكينة بعد أن ضمنا السعادة لابنتنا.

بعد ضغط والدتها، وسخرية أختها، وتهنئة صديقاتها قالت "ماجالي" في النهاية "نعم".

ولكن وضعها كفتاة مخطوبة لا يسعدها كما هو الحال مع أختها التي ازدهرت مثل أزهار (بيوميراك). نفخت "إيزابيل" مداعبة في شعر أختها الحريري وابتعدت في خطى راقصة، تتمايل في فستانها الأبيض. ظهرها الأسمر الأملس كان عارياً بالقدر الذي يسمح باستنتاج أنها متحررة من أية ملابس داخلية. زفرت "بولين مالفوازين" التي تشعر بضغط ملابسها الداخلية.

نهضت الفتاتان الشابتان.

سألت "بولين" مشيرة إلى القصر.

– هل تأتين معي؟

هزت "ماجالي" شعرها الأشقر الطويل.

– لا، ليس على الفور. سأقوم بجولة. إذا سألتك والدتي عن شيء... آه إذا بدت قلقة فأخبريها أنني سآتي.

بدت "بولين" كاتمة أسرار وفية. لقد كانت رائعة عندما تؤتمن على سر. ستذهب "ماجالي" لتقابل "جورج"!

لكن كانت خجلة لدرجة أنها لا تستطيع أن تقول ذلك صراحة!

في نهاية الحديقة كان يوجد ممر يسمى بدون سبب محدد "المهد

الأخضر". في هذا المكان ستلوذ "ماجالي". جلست على المقعد الحجري القديم، هذا المقعد الشاهد الصامت على قصص الحب عبر الأجيال في "بيوميراك". لكن لم يكن هناك أحد ينتظر "ماجالي".

فكرت بدون ندم: ربما يبحث "چورچ" عني".

في الصباح، عندما جاء ليأخذ الأختين بالسيارة، قال عندما رأى "ماجالي":

– أنت تشبهين "أوفيلي"!.. أو على الأرجح "أوندين دي چيرودو"!

ثم مالَ نحوها وقبل شفتيها في رفق بدلاً من القبلة المعتادة على خدها...

يدان صغيرتان أحاطت عيني "ماجالي" فقطعت أحلامها. سأل صوت به ضحكة:

– من أنا؟

دخلت "ماجالي" على الفور في اللعبة.

– هذا بائع الفحم.

– لا!

– الساحرة "كارابوس".

– أوه، لا!

– نعم، نعم.. آه لقد عرفت إنه "باراباس":

كان "باراباس" اسم متسول عجوز، لم يعد يتذكر أحد اسمه الحقيقي.

أمسكت "ماجالي" اليدين الصغيرتين اللزجتين الملتصقتين على وجهها، استدارت وتحققت – وهي تضحك بصوت عالٍ – أنها هي الفتاة الشقراء الصغيرة ذات الغمازتين في وجهها تقف خلفها.

"بياتريس دي بريمونتيه" طفلة عندها عشر سنوات إنها لا تشبه أخواتها. شعرها الأشقر المجعد وبشرتها السمراء يكشفان عن أنها تعيش فترات طويلة في الهواء الطلق. عيناها زرقاوان مفعمتان بالمكر والعزم. الجميع متيمون بها لكن كان لها من تحظوهم باهتمامها وحبها، وكانت "ماجالي" تحتل المركز الأول في قلبها.

قالت أختها الكبرى معاتبة:

– أيتها الطفلة!

أشارت إلى فستان الفتاة الأزرق المزركش وقد لوثته بقعة.

نظرت الطفلة إلى الفستان بدون اكتراث لما أزعج أختها بشدة.

قالت في هدوء كأنها تعطي إجابة شافية:

– إنها بقعة.

أجابت "ماجالي" محاولة ألا تضحك:

– أرى ذلك جيداً ولكني أريد أن أعرف ما الذي تسبب في ذلك.

شرحت "بيبي" بابتسامة لا يمكن مقاومتها:

– لقد تسلقت المعلف.

– المعلف؟

– إن المسكينة "روزيت" لم يعد لديها تبن؛ لذلك، تسلقنا...

– تسلقتم؟

تمتمت "بيبي" منزعجة قليلاً.

نعم... تسلقنا أنا و"باسكال"... ولكن سدد لي "بوجون" ضربة بقرنه فقطع ثوبي.

ثم أسرعت تقول بعد أن لاحظت شدة انزعاج "ماجالي".

– إنها ضربة صغيرة.

"بوجون" ثور صغير يحب اللهو لكنه كان سهل الانصياع مثل "بيبي" التي فاقت قدرتها على التخيل كل التوقعات.

سألت "ماجالي" متشككة:

– و"باسكال"؟

أجابت "بيبي":

– مازال "باسكال" هناك.

– هل تقصدين أنه مازال في المعلف.

شرحت "بيبي" في هدوء:

– إنه جبان جداً: ... أوه لو تعلمين المشقة التي تكبدتها حتى جعلته يتسلق هناك! وبعد ذلك كان من المستحيل أن أجعله ينزل! لقد أحضرت له الجاتوه ورويت له القصص لأسري عنه. لكنني لا أستطيع أن أقضي

www.rewity.com

طوال اليوم في الإسطبل. بحجة أنه جبان جداً ولا يستطيع أن يقفز.. إنه لا يتوقف عن البكاء.. إنه يعتقد أنه سيقضي باقي حياته في الإسطبل.

عندما ذكرت ذلك اتسعت ابتسامة "بيبي".

أمسكت "ماجالي" يدها.

– تعالي، سنحرر ضحيتك المسكين!

بينما كانتا تتجهان إلى الإسطبل تقدم نحوهما رجل أسمر طويل، قال منحنياً ويده فوق صدره وبعينيه السوداوين لمحة سخرية:

– أهلاً يا آنستي الجميلتين. ألم تقابلا عن طريق المصادفة خطيبتي الجميلة؟

أجابت "ماجالي" متلعثمة:

– أنا... لا.

إنها تعرف "جاك" منذ وقت بعيد، إنه يؤثر عليها ويشوشها كما يفعل كل من يسخرون منها.

قال "جاك" ضاحكاً مقلداً إياها:

– أنا... لا. ويقال إن هذه الفتاة الشابة مخطوبة!

لماذا أنت خجلة جداً هكذا أيتها المسكينة "ماجالي"؟

صاحت "بيبي" فجأة منفعلة:

– دعها وشأنها. أنت سيئ معها! أنا لم أعد أحبك.

جثا "جاك بيوميراك" على ركبتيه ضاحكاً أمام الفتاة الصغيرة ورجاها بشكل كوميدي بيدين معقودتين:

– أرجوك يا عزيزتي "بياتريس" لا تقولي لي ذلك، أنت تحطمين قلبي! إذا لم تساعديني على الفور سأشعر بأنني لن أستطيع الحياة بعد ذلك.

ابتسمت "بيبي" ابتسامة مفعمة بالدلال. ولمعت عيناها. أخيراً قالت في فخر:

– عفوت عنك.

قهقه "جاك" ونهض ورفع الفتاة الصغيرة بين ذراعيه وأرجحها في الهواء فقهقهت بضحكات عالية ثم أنزلها على الأرض متوردة ولاهثة.

انحنى مرة أخرى أمام "ماجالي"، غمز لـ"بيبي" ثم اختفى كما ظهر

بخطى رشيقة وغير مبالية.

زفرت "بيبي" وسألت "ماجالي" فجأة:

– إنه جميل جداً، أليس كذلك؟!

بقيت "ماجالي" صامتة أمام هذا السؤال المباغت.

أجابت في النهاية مبتسمة:

– جميل جداً.

قالت "بيبي" بنبرة حادة:

– إذا قالت "إيزابيل" لا، لقلت أنا "نعم"! وماذا عنك؟

في هذه المرة لم تجب "ماجالي"، نظرت إلى أختها التي تسير بجوارها في تفكر.

كانت "ماجالي" مفعمة بالحنان تجاه أختها الصغرى. لم تكن السيدة "بريمونتيه" أماً مثالية. منعها سنها من تفهم سلوك ابنتها الصغرى المتهور الذي يفتقد إلى الالتزام خاصة أنها تهتم بلعبة الورق كثيراً، وحياتها الاجتماعية المفعمة بالنشاط، فلم يكن لديها الوقت لكي تتابع هذه الفتاة الصغيرة الشغوف بالحب والتي تتمتع بشخصية تسبق سنها.

انتبهت "بيبي" بسرعة إلى أنها موضع شكوى أمها المستمرة. كما كانت حماقاتها المستفزة أحياناً تعبيراً عن افتقادها للحنان.

عندما فكرت "ماجالي" في كل ذلك، قررت مرة أخرى ألا تترك "بيبي" أبداً. لن يكون زواجها حائلاً دون ما قررته؛ ذلك لأن "جورج مونيه" كان متفقاً معها تماماً، ولكن ماذا ستقول الفتاة الصغيرة؟

انحنت "ماجالي" وأخذت الطفلة الصغيرة بين ذراعيها. أحاطت الفتاة وجه "ماجالي" بيديها الصغيرتين رداً على هذه الحركة الحانية. ثم استأنفتا السير نحو الإسطبل حيث ينتظرهما المسكين "باسكال".

إن "باسكال" ابن أخي السيد "بيوميراك". رباه عمه وزوجة عمه منذ وفاة والدته. كما رحل أبوه إلى "أمريكا" في رحلة لم يعد منها بعد. هذا الرجل القوي لم يحتمل مرضه واقتنع آل "بيوميراك" أنه سيموت بدون مقاومة وقد أثقله موت زوجته التي كان يحبها بشدة.

بلغ الصبي الآن ثماني سنوات، ولسوء الحظ لقد ورث "باسكال" صحة

أمه الضعيفة. وبما أن هذا الموضوع قد ذكر أمامه كثيراً فقد استغل ذلك في استدرار عطف الآخرين بطريقة مبالغ فيها. كانت "بيبي" هي الوحيدة التي ترفض أن تضع هذا التحبب موضع اعتبار. أما "باسكال" فقد كان يحبها حباً شديداً ويتبعها كالكلب الأعمى.

صحبت "ماجالي" الطفلين إلى القصر بعد أن واست "باسكال" الذي لم يتوقف عن الشكوى مما عاناه في الإسطبل.

لابد أن "جورج" ينتظرها ويسأل نفسه أين ذهبت.

تذكرت "ماجالي" فجأة أنها تتصرف بشكل غريب بالنسبة لشابة مخطوبة.

تركت الطفلين تحت أشجار "أبو فروة" حيث وضعت الطاولات لتقديم الطعام للمدعوين الصغار. وقررت أن تعود مارة من طريق آخر متجنبة أن يلاحظها أحد وخاصة والدتها.

بينما كانت تمر بالمساحة الزجاجية الكبيرة التي زرعت بأكثر أنواع الورد ندرة، سمعت همساً خلف شجرة ورد كبيرة. اسرعت "ماجالي" الخطى حتى لا تزعج العاشقين اللذين اختفيا خلف هذه الشجرة، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تسمع صوتاً قوياً يقول:

– إني أخشاك وأنت تعرفين ذلك تماماً.

بينما أجاب صوت آخر مرتعش:

– أما أنا فالخوف ليس هو ما أشعر به بالقرب منك وأنت تعرف ذلك تماماً...

عبرت مجالي الطريق فوجدت نفسها فجأة وسط الضحكات ورائحة العطور والموسيقى كأنها غريق عاد إلى الأرض بعد صمت الأعماق.

لقد تغير كل شيء، كل شيء أخذ لوناً آخر ومعنى آخر. لن يكون من الآن فصاعداً كل شيء كما كان من قبل بالنسبة لـ"ماجالي". هذان الصوتان اللذان تتردد كلماتهما في سمعها بدون توقف، هذان الصوتان اللذان لم ترد أن تسمعهما أبداً أو تتعرف عليهما...

*****

وسط حزنها لم تستطع "ماجالي" أن تمنع ذهنها من استدعاء ذكرى ما عادت إليها بادق تفاصيلها... ربما لأنها كانت في تلك اللحظة بنفس درجة الحزن، ذلك اليوم الذي سخرت فيه منها "إيزابيل" في لعبة الاستخفاء. لقد أخذت كل صديقاتهما الصغيرات وتركن "ماجالي" تبحث عنهن دون جدوى في الحديقة بينما كانت الأخريات يراقبنها من نافذة القصر وهن يسخرن منها ومن دموعها.

ظهرت فجأة، والدتها السيدة "بريمونتيه" في ثوبها البنفسجي بالقرب من "ماجالي".

صامتة ومستهجنة، كانت تُهَوِّي بمروحتها ذات الألوان المتناسقة مع لون ثوبها وشعرها المتموج بشكل بديع.

سنواتها الخمسون لم تترك أي أثر على جمالها حتى لو كانت قد عزفت منذ وقت ليس ببعيد عن الاشتراك في مجموعات "السعيدات الجميلات" لكنها حرصت أن يقال عنها: "إنها سيدة جميلة حقاً، قالت:

– من أين أنت آتية يا "ماجالي".

نظرت "ماجالي" إلى وجه أمها المتورد بعينيها الخضراوين وأجابتها في هدوء:

– لم أعد الطفلة ذات خمس سنوات.

صاحت والدتها: وهي تحرك مروحتها في غضب:

– يالها من وقاحة! هل تتذكرين على الأقل أنك مخطوبة؟

وأن اليوم هو حفل خطوبة أختك؟ وأن قلبي لا يحتمل هذه الأفعال التي تجعلينا جميعاً نتعرض لها؟... أين تذهبين يا "ماجالي"... "ماجالي"!

كانت "ماجالي" قد ابتعدت بالفعل. كانت تجري كأنها غزال يهرب من صياد دون أن تجيب على نداءات الفتيات اللاتي صادفتهن في طريقها في الحديقة... شعرها الأشقر يطير خلفها. وقدماها الصغيرتان تلمسان سريعاً الأرض.

كان "جاك بيوميراك" بعيداً جداً حتى إنه لم يلاحظ دموعها التي جففها الهواء على خديها عندما مرت به...

وعلى الرغم من ذلك، شيء ما جعله يتراجع عن أن يناديها.

كان قصر آل "بريمونتيه" قريباً جداً من قصر آل "بيوميراك" إلاّ أن قصر آل "بيوميراك" كان يقف في كبرياء وسط حديقته التي تحظى بعناية فائقة. إن منطقة نفوذ آل "بيوميراك" تتمتع بالرخاء. الأبراج التي تقع على جانب المبنى تضج بأصوات الحمام الذي اتخذ منها مسكناً. وقد غطت شجرة اللبلاب الوجه الجنوبي للقصر تماماً، حشائش الأرض مزدهرة ويانعة بشكل رائع مرصعة بالزهور البرية، فقد كانت ملاذاً ومخبأً للطفلين "باسكال" و"بيبي".

كانت "ماجالي" تحب أن تلامس الحشائش بساقيها العاريتين. أبطأت الجري لتعبر بين الحشائش الخضراء المنصهرة كالماء الأخضر.

في ظلال أشجار أبو فروة" كان الصرح هادئاً. تأملته "ماجالي" لحظة قبل أن تتسلق السلالم الحجرية التي أكلتها السنون.

فكرت – ناسية المها – لحظة "قصر الجميلة النائمة" فهذا الاسم يضحكها أكثر من "بلروك"!

فتحت نافذة في الدور الأول. ظهر فجأة لـ"ماجالي" وجه مجعد.

قالت في اتجاه النافذة.

– إني قادمة.

دلفت إلى البهو المفعم بالرطوبة والسكون. ساعة الحائط اللامعة في الظلام تُؤخّر كعادتها. إنها قديمة ومتعبة من عملها خلال أجيال عبر آل "بريمونتيه" مخلصة ومجهدة مازالت تجاهد للقيام بعملها ويغفر لها طواعية ضعف الذاكرة.

تسلقت "ماجالي" ببطء السلالم المجردة من السجاد مستندة إلى الدرابزين الخشبي المصقول كأنه من الزجاج. دقت باب أول غرفة بعد السلم.

أجاب صوت متكسر:

– ادخلي.

دلفت "ماجالي" إلى الحجرة الفسيحة والتي يضيئها ضوء قوي من خلال النافذتين الكبيرتين المزينتين بستائر بيضاء، الحجرة في قمة النظافة، من الأرضية الخشبية ذات اللون العسلي إلى التسريحة التي اصطف فوقها علب من كل المقاسات وكل الأشكال، وصندوق من الصدف عليه حرف فضي.

سجادة واحدة رائعة – لم تفقد الزهور المرسومة عليها بهاء ألوانها – تزين وسط الحجرة. فوق هذه السجادة، في مقعد وثير تجلس أغرب سيدة عجوز من الممكن مقابلتها. "أديلي دي بريمونتيه" والدة "جابريال دي بريمونتيه" وجدة "إيزابيل" و"ماجالي" و"بيبي". إنها سيدة صغيرة الحجم. وجهها مجعد مثل ثمرة التفاح ولكنه محتفظ بلونه الذي ورثته عنها "ماجالي". شعرها المستعار ولونه الأصفر الصافي المحكم على رأسها. عيناها تلمعان بمكر واضح. كانت تضع ثوباً طويلاً من الحرير الأسود، وتحدياً لسنها المتقدمة وضعت عقداً يناسب الثوب من اللؤلؤ الأصلي.

اقتربت "ماجالي" وانحنت لتضع قبلة احترام على وجنة جدتها.

نظرت الجدة باهتمام إلى حفيدتها.

– لقد بكيت!

لم يكن ذلك سؤالاً بل تأكيداً. ولم تحاول "ماجالي" الإنكار.

استطردت:

– لماذا بكيت؟

زفرت "ماجالي":

قالت وهي تستسلم للجلوس على مخدة بالقرب من جدتها.

– إنها قصة طويلة يا جدتي الطيبة.

قالت السيدة العجوز وهي تضرب بعصاها الأرض الخشبية:

– لا عليك، إني أحب القصص، اروي لي.

– إنها قصة من الصعب أن أرويها يا جدتي...

– ماذا؟ ماذا؟ من الصعب أن ترويها؟ إنها فزورة إذن؟

تماماً... دعيني أخمن... ارتكب "جورج" بعض الحماقات!

رفعت "ماجالي" وجهها نحو جدتها في دهشة.

– جدتي إن حذقك يصيبني بالخوف لابد أنك ساحرة.

أجابت الجدة ممتنة:

– هكذا تسخرين مني! هيا، بما أني خمنت نصف القصة سأحاول أن أجد الباقي... لقد اكتشفت "جورج" هذا يغازل حمقاء، وتبكين بدلاً من أن تصفعيه أو تلقي بشيء على رأسه.

أخذت "ماجالي" تضحك رغماً عنها.

– لماذا تضحكين؟ هكذا كانوا ينجذبون إلي عندما كنت في سنك وصدقيني كان لدي معجبون أكثر من أختك "إيزابيل".

عندما سمعتها تذكر "إيزابيل" انطفأت ضحكة "ماجالي" كأنها شعلة نفخها الريح.

لم يخف شيء على السيدة العجوز، صاحت في غضب:

– "ماجالي" انظري إلي. لا تقولي إن هذه الماكرة "إيزابيل"...

إذا كان الأمر كذلك... ومن الطبيعي أنك لم تقولي شيئاً!

لقد هربت في جبن تاركة إياها تتغازل مع من تحبين؟

خفضت رأسها.

– يا صغيرتي، هل تعتقدين أن هكذا تحتفظين برجل؟.. في البداية قولي لي هل تحبين هذا الأحمق؟

– "جورج" ليس أحمقَ يا جدتي.

– لا تعارضيني! إنه أحمق إذا كان يحب المجنونة أختك!

لا أقصد أنك بدون عيوب! لكن إذا كان عليه الاختيار فلا تردد في أن يختارك!.. وماذا يقول الآخر في ذلك؟

نعم ماذا يقول "چاك" عندما يرى خطيبته يغازلها خطيب أختها؟

آه! يا له من زمان! يا إلهي يا له من زمان! هيا احكي لي ما الذي حدث بالضبط.

– دخلت في البناء الزجاجي وكانا هناك هما الاثنان. لا شيء أكثر من ذلك.

– آه! هذا لا شيء في الحقيقة! في الواقع أعتقد أنك لا تركزين فقط على أنهما كانا يتحدثان في البناء الزجاجي... إن "إيزابيل" هذه نذلة! سأتحدث إليها بطريقتي هذا المساء!

– أرجوكِ يا جدتي..

– معكِ حق لن أقول لها شيئا. سنجد وسيلة أخرى!

لقد طرحت عليك سؤالاً حالاً ولم تجيبيني، أريد أن أوافقك على أن "جورج" ليس أحمق، لكن بعيداً عن ذلك، هل تحبينه؟

ترددت "ماجالي":

قالت الجدة:

– أرى أنك لا تعرفين عن ذلك شيئاً، وفي هذه الحالة تكون الإجابة لا: الحب لا يحتمل التردد يا صغيرتي. المرء لا يحب قليلاً أو كثيراً، المرء يحب أو لا يحب. بدون ذلك الحياة لا تساوي عناء العيش! صدقيني، إذا ترددت في الإجابة فذلك يعني أنك لا تحبين هذا الشاب! انسيه إذن! وإذا كانت أختك تخدعك لتأخذ خطيبك، فخذي خطيبها بدورك.

– أوه يا جدتي.

– لا أدري ما أقول، إنها صدمة. إن "چاك" وغدٌ ولن تفعل "إيزابيل" سوى أن تجعله أكثر سقوطاً ونذالة بينما أنت ربما تستطيعين فصل الخير عن الشر. هيا إني أمزح! أعرف جيداً أنك لا تستطيعين الإقدام على هذا الفعل. لقد طبقت دائماً المقولة "العين بالعين والسن بالسن،" للأسف لا أعتقد أنها تناسبك.. دعينا من ذلك الآن. بما أنك هنا اذهبي لتحضري أدوات الرسم الخاصة بك. لا شيء مثل الرسم يستطيع أن يريح أعصابك، كما أني أود أن أرى هذا الرسم وقد انتهى إلى شيء. لا يجب إضاعة الوقت.

اعترضت "ماجالي":

أجابت الجدة:

– أعرف، أعرف أنني قوية مثل جذع الشجرة! يردد الدكتور "موريه" ذلك دائماً: لكنه كاذب! مهنته تملي عليه ذلك. ولا أصدقه، إني أصدق فقط رأيي الشخصي عن العجائز ذوات التسع والسبعين سنة! اذهبي وأحضري أدواتك.

خرجت "ماجالي" طائعة وعادت ومعها حمالة اللوحات وصندوق من الألوان. كانت قد ارتدت عفريتة من القماش الأزرق وبها بقع الألوان.

دمدمت الجدة:

– لا يعجبني أبداً تنكرك هذا في صورة صبي. أطلعيني على عملك.

وضعت "ماجالي" على الحمالة اللوحة التي لم تنته وأدارتها حتى تستطيع السيدة العجوز أن ترى صورتها.

كان لرسم "ماجالي" قوة تثير الدهشة. إن ألوانها صادقة وخطوطها دقيقة.

WWW.BEWIT.COM

قالت الجدة مفكرة:

– أعتقد أن رسمك يتصف بصفة أراها بوضوح "قوي" ... إنك مدينة لفنك يا عزيزتي قبل كل شيء!

لا تنسي أبداً أن الفنان يرتكب أفدح الخيانات عندما لا يكون وفياً لنفسه ولعمله الفني. إنه ليس فقط السعادة لأنك ترسمين لنفسك بل إنه واجب أيضاً. لا تدعي نفسك تحيدين أبداً عن هذه الفكرة ولا تتأثري برأي أحد في هذا الشأن حتى لو كانت والدتك!

جثت "ماجالي" على ركبتيها أمام جدتها ورفعت نحوها عينيها المتأثرتين: سألتها ممسكة يدها المجعدة التي يلمع فيها خاتمها الماسي.

– هل تعتقدين ذلك حقاً يا جدتي؟ هل تجدين حقاً أن ما أفعله جيد؟

أجابت الجدة على الفور:

– هل قلت ذلك؛ قلت إن عليك أن تعملي، هذا كل شيء!

طبعت "ماجالي" قبلة حانية على يدها ونهضت وصاحت في سعادة:

– حسن. هذا ما سأفعله على الفور.

بحثت لحظة طويلة عن المكان الأفضل إضاءة وجلست أمام حمالة اللوحة. وساد الصمت. أخذت "ماجالي" ترسم في حماس وفي عينيها بريق حماس يشترك فيه كل الفنانين المحبين لعملهم.

كسر هذا الصمت دقات على الباب.

قبل أن تجد "ماجالي" الوقت لكي تذهب وتفتح الباب، ظهرت "بيبي" عند إطار الباب مبتسمة. سألت وهي تدخل بالفعل في الحجرة:

– هل أستطيع أن أدخل؟

اتجهت نحو جدتها دون أي ضيق وتسلقت ركبتيها وتعلقت بها.

قالت الجدة مبتسمة:

– يا ملكتي الصغيرة. صغيرتي العزيزة.

زفرت "ماجالي":

– أعتقد أن الجلسة قد انتهت...

قالت "بيبي":

– أريد بعض الحلوى.

سألت العجوز مستاءة:

– ألم يعطوك شيئاً هناك؟

أجابت الفتاة:

– بلى، شيئاً قليلاً.

فتشت في جيبها حيث أخرجت قطعة حلوى ملفوفة في قطعة ورق.

قالت في فخر:

– لقد أحضرت لك قطعة جاتوه.

شكرت الجدة حفيدتها في حرارة. إن كل ما تفعله "بيبي" يعجبها.

قفزت الطفلة على الأرض.

– الآن ساخذ "توبي" في نزهة.

اتجهت إلى ركن من الحجرة حيث بالخلف أحد المقاعد على وسادة من القطيفة الحمراء ينام جنباً إلى جنب قط فارسي وكلب بيكيني. هما عدوان أغلب الوقت يتصالحان دائماً في ساعات الراحة ولا يضايقهما أن ينام أحدهما فوق الآخر.

أمسكت "بيبي" الكلب ونظرت إليه وهو يتثاءب مظهراً لسانه البنفسجي.

قالت الجدة التي لا تعهد بـ"توبي" إلا لـ"ماجالي" أو "بيبي".

– انتبهي له جيداً.

خرجت "بيبي" وهي تحمل "توبي" وغادرا الحجرة بينما بقي "بوم" القط الفارسي نائماً ورأسه فوق ذيله الأشعث.

قالت "ماجالي" ضاحكة:

– لابد أنها أسرفت في تناول الجاتوه. حتى إنها نسيت البونبون.

نظرت إليها جدتها:

– هل تريدين الاستمرار؟

– أرغب في ذلك يا جدتي، ولكن صار الضوء خافتاً..

– إذن لنتحدث قليلاً. ماذا تنوين أن تفعلي؟

– بالنسبة لماذا يا جدتي؟

– تعرفين جيداً! بالنسبة لخطيبك لا أريد أن أحزنك بهذا الشأن، لكن

يبدو لي أن عليك اختيار سلوك معين.

أومأت "ماجالي" بعدم قدرتها على ذلك مما أثار غضب الجدة.

– أنت لست ضعيفة! لن تتركي نفسك ضحية سخرية هذا الشاب! هل تنوين قطع علاقتك به؟

قالت "ماجالي" في تردد:

– أعتقد أنه يجب عليّ ذلك..

– أنت لست حتى واثقة بذلك! أنا لا أفهمك يا طفلتي المسكينة... أنا لو كنت مكانك لثارت لنفسي – صدقيني – لكنت جعلته يركع على ركبتيه ولما سامحته إلاّ إذا رجع عن ذلك. في النهاية لن أملي عليك ما يجب أن يكون عليه سلوكك.

(كان صوت السيدة العجوز يوحي بعكس ما تقول).

توقفت فجأة عن الكلام وهمست:

"ماجالي" هناك من يتصنت خلف الباب.

رفعت "ماجالي" حاجبيها غير مصدقة والتفتت نحو الباب.

لم تسمع أي صوت.

استطردت جدتها: بصوت منخفض:

– أقول لك إن أحداً ما يتنصت! اذهبي لتري!

لترضي جدتها توجهت "ماجالي" إلى الباب وفتحته على مصراعيه. لم يكن هناك أحد خلف الباب.

قالت في نفسها: "على أية حال لا تفكر "بيبي" في الاستماع خلسة إلى حديث الكبار".

لتتأكد مالت نحو الدرابزين ونظرت، ولدهشتها وجدت ظل شخص تعرفه جيداً. إنه يوم المفاجآت! غير السارة!

عادت شاحبة، توجهت نحو جدتها.

قالت بصوت جامد:

– لا يوجد أحد يا جدتي.

نظرت إليها جدتها في وجهها، وقالت الجدة في هدوء:

–إنك لا تحسنين الكذب يا صغيرتي.

الفصل الثاني

كانت "ماجالي" تمشط شعرها الذهبي الطويل أمام المرآة البيضاوية التي تعكس صورة فتاة شاحبة وقلقة.

كانت تشعر بالحزن ولكن بدون مرارة. طبيعتها الأبية واعتزازها بنفسها يدفعانها بدون توقف إلى الاحتفاظ بصمودها.

كما كان لديها الإيمان العميق بأن العذاب في الحياة يتعدى دائما قدرة الإنسان على التحمل. إنها تشعر بأنها قوية، فلم تكن تندهش لما يحدث لها من ألم أو حزن.

الآن وهي تتذكر في ظل جمال هذا الصباح الهادئ: الأمس الذي يبدو لها كابوساً.

قريباً ستأتي الحرارة القوية لتغمر البشر وكل الكائنات لتطوقهم في صمت في أيام شهر آب (أغسطس) في الريف، وفي ساعات القيلولة يسترخي الذهن لينمي الأفكار ويستدعي الذكريات.

خلعت "ماجالي" قميصها الأبيض الذي يشبه رداء تلميذة في الدير ووقفت لحظة ساكنة تحت مداعبة نسيم الصباح. مازال قوامها الرشيق المتناسق يحتفظ بعلامات الطفولة.

بعد أن انتهت من التواليت بالماء البارد نزلت لتجتمع بباقي أفراد الأسرة لتناول الإفطار. اتخذت أسرة "بريمونتيه" عادة تناول الإفطار مجتمعين إلا السيدة بريمونتيه" التي تتناول الإفطار في غرفتها، فهي الوحيدة التي تتخلف عن هذا الطقس تستغرق السيدة "أديلي بريمونتيه" كل صباح عشر دقائق لتنزل السلم مستندة إلى ذارع ابنها. إنها عادة تحرص عليها ويعلمها الجميع. في "بلروك"، واليوم الذي لن تنزل فيه السيدة العجوز سيكون قريباً من نهايتها.

وزعت "ماجالي" قبلاتها على أفراد أسرتها الملتفة حول الطاولة وفقاً لمدى تعلقها بكل فرد. من أول "بيبي" التي كادت تسكب الشوكولاتة الساخنة لفرط تحمسها في الرد على قبلة أختها إلى والدها الذي يرد إليها قبلتها وعيناه شاردتان في أفكاره.

كان "جابريال بريمونتيه" من هواة جمع الطوابع، فعندما يتأمل طابعاً نادراً قد ينهار العالم من حوله دون أن يتنبه إلى ذلك. لقد جعل منه إلحاح زوجته وحدتها رجلاً منغلقاً. كان يحب "ماجالي" بعمق لكنها بقيت بالنسبة له على الرغم من ذلك غريبة تماماً لأنه كان منعزلاً في عالم من الحلم حيث يرى باقي العالم بطريقة عائمة وغير دقيقة. أمه تفهمه أكثر من أي شخص آخر، على الرغم من اختلاف طبيعتيهما. كانت تحلم بابن صورة منها مفعم بالحماس والعاطفة لكنها أحبت الابن الذي وهبه لها الله وزاد من قربه لها زواجه الذي كانت ترفضه، كما زاد من غريزة الحماية لديها.

شعر "جابريال" بالعرفان لزوجته فقط لأنها كانت بعيدة عن الخلافات التي تنشأ بين الحماة وزوجة الابن وكانت لحظة تناول الإفطار بالنسبة له ساعة من أسعد ساعات النهار.

اتخذت "ماجالي" مقعداً بالقرب من "بيبي" في مواجهة جدتها. رمقت "أديلي دي بريمونتيه حفيدتها بنظرة تواطؤ. أجابتها "ماجالي" بابتسامة مترددة لأن عيني "إيزابيل" كانتا مثبتتين عليها بحدة تفتقد إلى الود.

قالت "بيبي" فجأة:

– بعد قليل سأذهب في نزهة.

قال الأب في تلقائية:

– الفتيات الصغيرات لا يتحدثن على المائدة.

قالت "بيبي" معترضة على هذا التوجيه الأبوي الضعيف والمتأخر.

– لكني أتحدث كل صباح.

هدأتها "ماجالي" بأن ربتت على جبهتها. قالت الجدة التي كانت قد انتهت من إفطارها لحفيدتها:

– عندما تنتهين يا "ماجالي" سأطلب منك أن توصليني.

كان ذلك غير معتاد منها لدرجة أن ابنها نفسه قد أفاق من شروده ونظر إليها لحظة دهشاً. توردت "ماجالي" وتفحصتها "إيزابيل" بابتسامة ساخرة.

فكرت "ماجالي": "إنني في عينيها الفتاة الخائفة التي تسرع إلى أحضان

جدتها لتشكو لها. لقد فهمت سبب رحيلي مسرعة بالأمس... ما لم يكن "جاك" الذي كان يتنصت بالأمس قد سمع كل شيء خلف الباب وتشاجر معها كاشفاً لها مصادر معلوماته.

قالت الجدة بلهجة معادية:

– تبدين متعبة يا صغيرتي "إيزابيل". لابد أنك رقصت كثيراً بالأمس.

رمقتها "إيزابيل" بنظرة مهاجمة، ولكن سرعان ما تراجعت. للسيدة العجوز قوة لا يستهان بها. إنها تمتلك ثروة كبيرة وعلى الرغم من رغبتها في التبرع بها لجمعية حماية الحيوان، فمن المحتمل أن تمثل التركة الصغيرة التي ستتركها لعائلتها قدراً لا بأس به.

كانت "إيزابيل" بداخلها تنظر إليها على أنها عجوز خرفة، ولكنها كانت تحاول دائماً ألا تظهر لها ما تشعر به تجاهها حتى لا تغضبها. أما الجدة فكانت ذكية بالقدر الذي يجعلها تعي تماماً ما بداخل "إيزابيل"، فكانت تنتقم منها بمضايقتها.

صاحت "بيبي" التي أرادت أن تلفت الانتباه بأية طريقة:

– أريد أن أستحم في النهر.

قالت "ماجالي" بحزم:

– إني أمنعك.

سألت "بيبي" بلهجة شاكية:

– لماذا؟

– لأني لا أستطيع مصاحبتك هذا الصباح وأنت غير حذرة. أنت تبتعدين بدون توقف عن الأماكن قليلة العمق.

أصرت "بيبي" التي أقسمت على أن تكون غير محتملة:

– بلى

تحركت فسكبت ما تبقى في كوبها من الشوكولاتة على المفرش.

أخذت "ماجالي" الفتاة من ذراعها وأجبرتها على أن تنهض. وقالت لها في عنف:

– ستصعدين إلى غرفتك ولن تتحركي منها حتى أناديك.

رفعت "بيبي" بصرها إلى أختها الكبرى في قلق سألتها:

– هل أنا معاقبة؟

أجابتها "ماجالي" دون أن تلطف نبرتها:

– ألا تجدين أنك تستحقين العقاب؟

خفضت "بيبي" رأسها وذهبت إلى غرفتها بدون مقاومة.

عندما عادت "ماجالي" نظرت إليها جدتها لحظة قبل أن تصيح:

– لكنك منفعلة يا صغيرتي! أنا لم ألاحظ ذلك! لا أريد أن أمنعك من الذهاب للنزهة.

أجابت "ماجالي" مبتسمة:

– أوه يا جدتي لا توجد أهمية لذلك. سأذهب فيما بعد.

كانت تعرف أن جدتها تمثل لأن لا شيء يغيب عن عينيها الفاحصتين لكنها أدركت أن قليلاً من الأنانية والفضول من الممكن التسامح معها في هذه السن المتقدمة.

عندما انتهيا من صعود السلم وجلست "أديلي بريمونتيه" لاهثة ولكن راضية بنشاطها اليومي، في مقعدها، جلست "ماجالي" على السجادة.

سألت السيدة العجوز على الفور:

– هل فكرت؟ هل اتخذت خططاً أو قرارات؟

– لست محاربة مثلك يا جدتي وأنتظر أن تقترحي عليّ شيئاً.

– حسن، سأقول لك بصراحة رأيي فيما يجب أن تفعليه وبعد ذلك تتصرفين على سجيتك: في البداية كوني لطيفة بالقدر الكافي حتى تخرجي "أديمار" من قفصه وتحضريه لي هنا.

ذهبت "ماجالي" وفتحت باباً يشرف على حجرة صغيرة كان "أديمار" ينام هناك، إنه ببغاء لا يعرف أحد سنه ولم ينطق بكلمة منذ اليوم الذي أُهديَ فيه لـ"أديلي".

كان شديد الشراسة حتى إنه كان يعض من لا يعرفه بدون هوادة. كانت السيدة العجوز تحبه كثيراً وتقول إن نظرة عينيه تساوي كلمات الدنيا جميعاً. في الحقيقة كان "أديمار" يتفاعل مع كلمات صاحبته الرقيقة وكلماتها القاسية أيضا بنظرات معبرة تماماً من الممكن تفسيرها على أنها دليل رائع على الاستقلال والشجاعة.

وضعت "ماجالي" الطائر الناعس على أرجوحته المعلقة في النافذة. هناك فتح عينيه وأخذ يبعثر طعامه ويتحرك في صخب مسقطاً على الأرض بعض الريش الذابل.

أشرق وجه السيدة العجوز أمام هذا المشهد ثم عادت إلى موضوعها:

– في رأيي، يجب أن تذهبي لمقابلة "جورج" وتخبريه أنك لا ترغبين في الزواج منه وتقدمي له السبب بصراحة. وسترين رد فعله. إذا ركع أمامك طالباً العفو فكوني حازمة وقولي له إنك ستفكرين، وإذا بدا محرجا ومترددا فقد قضي الأمر. فهو أحمق ولا عليك إلا أن تتمنى له حظاً سعيداً بين مخالب أختك العزيزة. لن ينال إذن إلا ما يستحقه. صه! لا فائدة من أن تعطيني إجابة وتخبريني بما ستفعلينه. لقد تركت اللوحة هنا تعطيني إذن وسيسمح لك ذلك بالتفكير. هذا المساء، ستخبرينني بما قررت! متى سترين "جورج"؟

– غداً. سيأتي ليأخذني في رحلة خلوية مع ابن عمه "لوديفيك" وزوجته. لقد أتيا من "ليموج" لقضاء أيام الإجازة عنده. لكن بعد الذي حدث...

– صدقيني سياتي. لا أعرف رجالاً توقفوا عن المجيء لأنهم لم يعد لديهم الرغبة! إنهم يدعون ذلك لياقة، أدباً، أو رغبة في عدم جرح الطرف الآخر. في الواقع أن الحب لديهم مثلما لدى النساء مشاعر معقدة. إن لديهم قلبين، هيا تحدثنا كثيراً... إلى العمل.

زفرت "ماجالي". النزهة على ظهر "بللا"، المهر العجوز الفريد في إسطبل عائلة "بريمونتيه" لم يعد لها مكان في جدول أعمال اليوم. كانت لدى "أديلي بريمونتيه" القدرة على نسيان ما يضايقها.

بدأت "ماجالي" العمل دون أن تتحمل عناء تغيير ملابسها آملة – دون اعتقاد كبير – في أن تحررها جدتها مبكراً حتى تستطيع أن تستفيد من فترة الصباح. ولكن تركتها "أديلي" ترحل فقط الساعة الحادية عشرة. لم تعد الكلام عن "جورج مونيه".

كانت هذه هي الساعة التي تنزل فيها "ماجالي" إلى المطبخ لتشرف مع العجوز "ماريت" على شؤون المطبخ. كانتا تضعان معاً قائمة اليوم التالي

وكانتا تستطيعان لحسن الحظ إرضاء أذواق جميع أفراد عائلة "بريمونتيه".

كانت "أديلي بريمونتيه" تدفع المصروفات وهي تدمدم وكان لها الحق في قائمة خاصة، وكانت هذه القائمة تشكل عملاً إضافياً لـ"ماجالي".

بعد أن انتهت من هذه المهمة اليومية توجهت نحو قاعة الدراسة. كل صباح، كانت تأتي ابنة عم الكاهن وتدعى "أورور كاستنياك" محاولة أن تدرس لـ"بيبي" و"باسكال" بعض علوم الجغرافيا والتاريخ واللغة. كانت هذه هي فكرة السيدة "بيوميراك" التي كانت تحب "بيبي" كثيراً والتي رتبت بشكل ظريف أن تتحمل هي كلياً مصاريف هذه الدروس. لقد اضطرت من أجل ذلك إلى أن تمتدح "هورتانس بريمونتيه" مؤكدة أنه من المفيد أن يعمل "باسكال" مع "بيبي" لأنها أكثر منه انتباهاً.

وكان ذلك صحيحاً. كانت "بيبي" هي التي تعطي إشارة بدء الشغب. وعندما تريد، تتعلم بسرعة مدهشة لكن عندما لا يعجبها الدرس كانت لها طريقتها في أن تتغيب، في أن تظهر الشرود وأن تتثاءب في كسل مما كان يثير إعجاب "باسكال" وحنق الآنسة "أورور".

فتحت "ماجالي" باب حجرة الدراسة بحذر. لم تسمع أي صوت فلم ترد أن تقطع هذا الهدوء النادر.

كانت الآنسة "أورور" جالسة في مقعد خاص بوظيفتها، ولكن كان مقعدا "باسكال" و"بيبي" خاويين. سعلت "ماجالي" فالتفتت نحوها الآنسة "أورور" وكشفت ابتسامتها فمها الخالي من الأسنان.

– أليس الطفلان معك يا آنستي؟

– لا، لم أرهما بعد.

قالت "ماجالي" في دهشة:

– ماذا، كان يجب أن يكونا هنا منذ نصف ساعة.

ابتسمت الآنسة "أورور":

– أنت تعرفين "بيبي". اليوم هو الأربعاء، ولما جئت متأخرة كثيراً عن ميعادي ربما اعتقدت أن...

قاطعتها "ماجالي" صائحة:

– يا إلهي! تذكرت، لقد أرسلتها إلى حجرتها بعد الإفطار ومنعتها من

أن تغادرها تحت أية حجة.

خرجت مسرعة وصعدت السلم في عجلة. فجأة تذكرت منعها لاختها من أن تذهب للاستحمام، في نظر "بيبي" أن الممنوعات قد وجدت لكي تخترق. أسرعت "ماجالي" إلى الخارج وهي مازالت تجري. طافت حول القصر. النهر ليس بعيداً عن هنا خلف تل صغير والذي له نفس اسم القصر "بلروك" الماء يجري بين الحشائش ولكن شاطئ النهر ليس به أي أثر لـ"بيبي" و"باسكال". نادت "ماجالي" الطفلين بطول الشاطئ ثم عادت إلى الحديقة وهي تناديهما دون فائدة.

انضمت إليها الآنسة "أورور".

لفتت صيحات "ماجالي" والمعلمة انتباه "ماريت". ظهرت السيدة "بريمونتيه" بدورها ملتحفة برداء من القطيفة وعلى رأسها إيشارب من الحرير الأبيض. بطبيعتها التمثيلية أخذت على الفور تنوح وتدعي بأنها ستفقد وعيها. بدت الآنسة "أورور" ساذجة بالقدر الكافي حتى إنها ذهبت لتحضر لها مقعداً فتركت السيدة "بريمونتيه" نفسها لتسقط فيه ليس دون أن تتحقق أولاً مما إذا كان ندى الصباح قد بلله. من مقعدها استمرت في النحيب تحت عين "ماريت" المكذبة، منذ زمن بعيد لم تعد ساذجة لتصدق هذا النوع من التمثيل.

باءت كل محاولات البحث بالفشل. جاءت "إيزابيل" واقترحت الذهاب إلى آل "بيوميراك" ربما يعرفون شيئاً.

وبعد عشر دقائق عادت بالأخبار. لقد ترك "باسكال" "بيوميراك" في الصباح الساعة التاسعة والنصف ليحضر إلى "بلروك" ومنذ ذلك الوقت لم يعد.

أصاب الذعر الجميع. احتفظ "جاك بيوميراك" بهدوئه واقترح على آل "بريمونتيه" الذهاب إلى "برج – سالين" على بعد كيلو مترين فقط. كان مقتنعاً أن الطفلين قد ذهبا إلى هناك دون إذن. بدا انتظار عودتهما دون نهاية. ذهبت مرة أخرى إلى شاطئ النهر تتبعها الآنسة "أورور" على الرغم من سخرية "إيزابيل". كانت "إيزابيل" تبدو عصبية، فكرت "ماجالي" – التي أنساها القلق أحداث الأمس – أن "جاك" ربما قد طلب منها بعض

التفسيرات.

عادت "ماجالي" والمعلمة إلى القصر إثر سماع صوت محرك سيارة. أخبرهم "چاك بيوميراك" بوجه عابس أن لا أحد قد رأى الطفلين في "برج – سالين" قال:

– سأذهب في كل الطرق التي ربما كانا قد سلكاها. في هذه الأثناء يمكنكم البحث في غابة "بيوميراك". على أية حال، إن سيقانهما صغيرة ولن يستطيعا إذن الذهاب بعيداً. لقد أخبرت شرطة "برج – سالين".

كانت "إيزابيل" قد جلست بالفعل في سيارة "چاك". فتح "چاك" باب السيارة وقال لها في فتور:

– آسف أفضل أن أذهب بمفردي.

ساد صمت حرج. شحبت "إيزابيل" وبدا في عينيها غضب بارد" مبشر بانفجار لكنها عضت شفتيها ونزلت دون أن تنبس بكلمة.

توقفت السيدة "بريمونتيه" عن النحيب لتشاهد هذا الموقف في قلق. اتجهت "إيزابيل" إلى القصر دون أن تلتفت خلفها. نادتها أمها بصوت متردد. صفعت الباب رداً على ندائها. التفتت السيدة "بريمونتيه" إلى زوج ابنتها المنتظر. قلقة ومتوسلة. ولكن كان "چاك" قد أدار محرك السيارة بالفعل.

أشفقت "ماجالي" على والدتها وأمسكت يدها.

قالت في هدوء:

– لا تقلقي يا أمي.

أمسكت السيدة "بريمونتيه" ذراع ابنتها وقالت بصوت ضعيف:

– سأدخل، لم أعد أستطيع.

نهضت كأنها ممثلة تراجيدية تترك خشبة المسرح واتجهت نحو القصر مستندة إلى ابنتها.

بعد أن نجحت في الهروب من أسئلة والدتها وأجلستها على الأريكة في حجرتها، ذهبت "ماجالي" إلى قصر "بيوميراك" حيث كان الخدم يبحثون عن الطفلين في الأنحاء المجاورة. بخطى سريعة دخلت في الغابة.

سارت ساعة وهي تنادي دون توقف "بيبي" و"باسكال". القلق يخنقها.

حدثت نفسها بأنها لن تقوى على نهر "بيبي" عندما تجدها.

وصلت أخيراً إلى جزء مكشوف من الغابة، متعبة وساقاها تغطيهما خدوش الأشواك.

هناك استندت إلى شجرة دون أن تستطيع الكلام؛ إن المشهد الذي أمامها غريب بحق...

عربة كبيرة حمراء تشغل ركناً من المكان. بالقرب منها يقف بغل يركب فوقه قرد يحك فراءه ويقفز فوق ظهر البغل. وحصان صغير ضعيف أسود موثوق بالشجرة يتمايل ويهز ذيله الطويل.

كان البوهيميون المتنقلون يجلسون على الأرض حول نار ضعيفة. الأب والأم في الأربعينيات من العمر، تبدو السيدة جميلة بشكل ملحوظ في ردائها ذي الألوان الزاهية. خمسة أطفال بين الخامسة عشرة، والسنتين يأكلون – في نهم وفي صمت كبير – قطع اللحم الذي يتلقونه من يدي أمهم ويسيل الدهن على أذقانهم. وسط هذه اللوحة الداكنة كانت شقرة "بيبي" واضحة كأنها الشمس.

كانت جالسة بجانب أصغر الأطفال تتولى إطعامه بأصابعها الصغيرة قطع اللحم. "باسكال" إلى جوارها مذعور" كأنه سجين تعس وقع تحت سيطرة ساحرة شريرة.

كانت "بيبي" هي أول من لمح أختها. لم تبد أية دهشة. فقط بدا أنها تفكر. انتظرت "ماجالي" أن تنهض الفتاة وتجري نحوها ولكن أشاحت "بيبي" بوجهها عنها واستأنفت عملها في صمت.

في المقابل، صاح "باسكال" الذي كان قد لاحظ وجود "ماجالي" بدوره وأشار إليها. عند هذه الصرخة استدارت كل القبيلة نحو الاتجاه الذي يشير له "باسكال" في حركة واحدة. نظروا في دهشة إلى الفتاة الشقراء التي ترتدي ملابس الفروسية والمتسمرة في مكانها.

نهض الأب واتجه نحو "ماجالي" مبتسماً: سألها مشيراً إلى "باسكال" و"بيبي":

– هل هما ابناك؟

تلعثمت:

– نعم.. لا، في الحقيقة هذه أختي الصغيرة.

نهضت "بيبي" على الفور وأمسكت ساق الرجل.

– لا تردنا يا "رامون". لقد وعدتني بأن تسرقنا.

انخرطت في البكاء. انخرط الأطفال الخمسة و"باسكال" بدورهم في البكاء تضامناً مع "بيبي". وسط هذا الصخب شرح الأب لـ"ماجالي" الذي حدث. وصل الطفلان إلى هنا منذ ساعة تقريباً. وصلا جائعين ومتعبين ثم تناولت "بيبي" الحديث لتشرح أنها تفضل أن تختطف لأن أبويها لا يحسنان معاملتها، وأنها تستطيع أن تكون ذات نفع لهذه العائلة البوهيمية لأنها تعرف القيام بالعديد من الأعمال وأن "باسكال" يستطيع تنظيف أقفاص الحيوانات المفترسة. قاطعها الأب في هذا الجزء من الحديث ليؤكد في سذاجة أن ليس لديه حيوانات مفترسة...

بما أنه قدم لأول مرة في المنطقة وأن "بيبي" لم ترد الإفصاح عن المكان الذي أتت منه، قرر الرجل وزوجته في حكمة أن يطعما الأطفال، أولاً وبعد ذلك كان أمامهما الوقت للبحث عن ذوي الطفلين.

بدا الغضب على وجه "بيبي" عندما سمعت هذا الحديث بينما كان من الواضح أن "باسكال" مقسم بين إحساسين هما الخوف من العودة والفرحة بأن يرى نهاية هذه المغامرة الخطيرة.

شكرت "ماجالي" "رامون" وزوجته. وطلبت من الزوجة أن ترسمها. رفض "رامون" هذا العرض وشرح لها أن لديه موعداً مع أعضاء آخرين من القبيلة في مساء اليوم التالي ويجب أن يسلكوا طريقهم بعد الأكل مباشرة. قبلت الزوجة بكثير من الشكر القطعة النقدية التي منحتها لها "ماجالي".

وكان الوداع مؤثراً. ازداد بكاء الأطفال الخمسة وهم يرون "بيبي" ترحل وهي تقبلهم جميعاً إلا "رامون" الذي رأته خائناً. ورفضت أن تعطي يدها لـ"ماجالي". أما "باسكال" فقد أمسك يد "ماجالي" بدون تردد وقد شعرت "ماجالي" بارتعاشه كأنه ورقة.

خلال طريق العودة كانت "بيبي" تمشي أحياناً في الخلف وأحياناً في المقدمة. دون أن تنظر إلى أختها. لم تعرف "ماجالي" كيف تتصرف مع

هذا السلوك. فكرت في أنه من الأفضل تأجيل العقاب.

لم تتأثر الفتاة الصغيرة بمشاهدة العساكر. حاول العسكري أن يعقد حاجبيه ويغلظ صوته ليخيفها. حدثها عن السجن الخاص، بالأطفال غير المطيعين، رفعت "بيبي" كتفيها دون أي رد فعل آخر.

عند رؤية الناس مجتمعين عند القصر شعر "باسكال" بالخوف الشديد وأخذ يبكي. أما "بيبي" رافعة هامتها في فخر مدت الخطى ووصلت أولاً أمام الجمع. خرجت "إيزابيل" عن المجموعة ولتهدئ غضبها صفعت أختها بقوة ووصفتها بالجنون وسوء الأدب.

انهمرت دموع "بيبي" وجرت إلى "ماجالي". على الرغم من لوم "إيزابيل" لها على ضعفها الغبي، أخذت "ماجالي" أختها الصغيرة بين ذراعيها. وتركت "باسكال" الذي استمر في بكائه فأخذه "فيلامون" خادم "بيوميراك" العجوز الذي توعده وهو يسوقه إلى القصر بعقاب شديد. أخذت "ماجالي" "بيبي" إلى حجرتها وأخذت تهدئها وهي بين ذراعيها. كان شعر "بيبي" مليء بالقش ووريقات الشجر التي أخذت "ماجالي" تخلصها منها برفق وهي تهمس لها بكلمات لتهدئها. ولكن لم تكف "بيبي" عن طلب العفو ولا عن أن تردد أنها فتاة شريرة.

وعندما هدأت قليلاً شرحت لها "ماجالي" أن ما فعلته كان درباً من الغباء.

قالت:

– الكبار أنفسهم رغم خبراتهم يجدون صعوبة في تحديد هل يرحلون أم يبقون. والأطفال إذن لديهم سبب أقوى لاستشارة الكبار في هذا الشأن.

جففت "بيبي" دموعها وأقسمت ألا تفعل ذلك ثانية.

ثم انخرطت في سرد تفاصيل لقائها مع عائلة "رامون" المتنقلة ولم تستطع "ماجالي" أن تمنع نفسها من الضحك عندما ذكرت لها كيف كان "باسكال" خائفاً من أن يؤكل. وكيف طمأنته بأن قالت له إنه نحيف جداً حتى يثير الشهية... كانت "بيبي" تود دعوة "رامون" وأسرته للغداء ولكن بعد قليل قالت:

– لابد أنهم قد رحلوا لميعادهم، كانوا سيعجبون جدتي، لكن أعتقد أن

أمي و"إيزابيل" ما كانتا ستحبانهم. إنهم قذرون قليلاً.

حل المساء وجاء موضوع آخر ليثير قلق الأسرتين. "جاك" الذي كان قد رحل في البحث عن الطفلين لم يعد حتى الآن. إنه حتى لم يتصل حتى يعرف إذا كانا قد عادا. همت السيدة "بيوميراك" لتبلغ الشرطة عن اختفاء ابنها عندما دق جرس الباب. إنه رئيس الشرطة الذي جاء ليخبرها بنفسه أن ابنها قد تعرض لحادثة. اكتشفه أحد السائقين تحت سيارته في حفرة. ونقله على الفور إلى عيادة الدكتور "أومونت" في "بيريجو". وفقاً للتشخيص الأولي فإن حياة الشاب ليست في خطر.

ترددت السيدة "بيوميراك" لحظة وهي تسأل نفسها إذا كانت ستخبر "إيزابيل". وأخيراً قررت.

كانت "ماجالي" في البهو عندما دق التليفون وأخبرتها السيدة "بيوميراك" الأخبار السيئة وأخبرتها أنه إذا كانت "إيزابيل" تريد مرافقتها إلى "بيريجو" فإن "فيلامون" سيوصلها إلى "بلروك" وستأخذها في طريقها.

ذهبت "ماجالي" ودقت باب أختها التي صاحت بلهجة ليست لطيفة بأن تدخل.

كانت ممددة على سريرها تتصفح إحدى المجلات وتأكل الحلوى. إن غرفتها لا تشبه غرفة "ماجالي" بأية حال من الأحوال.

كانت غرفتها متحررة من القيود التقليدية: شال إسباني معلق على البارافان. آلة ماندولين لا تعرف العزف عليها ملقاة بإهمال على صندوق. وتقليد سيئ للوحة "بيكاسو" معلقة على الحائط.

كان هذا الديكور المصطنع لا يروق لـ"ماجالي". والتي نادراً ما تأتي إلى هذه الغرفة ولا تتكلف أختها عناء دعوتها أبداً.

كانت "إيزابيل" ترتدي بنطلونا أسود ملتصقاً بجسدها وبلوزة مناسبة وحزاما عريضا أخضر، كانت تلعب دور النجمة المشهورة واستقبلت "ماجالي" كأنها "جريتا جاربو" وهي تهرب من كاميرات المصورين.

لم تعرف "ماجالي" كيف تخبرها بالحادثة، قلق سطحي لأن "إيزابيل" لو كانت مكانها لأخبرتها على الفور. نهضت غاضبة وشاهدتها "ماجالي"

وهي ترتدي ملابسها كأنها ذاهبة لحفل أو للمسرح. وأمام دهشة أختها ضحكت "إيزابيل" وقالت:

- نعم! إنها طريقتي! لا أريد أن أنخرط في البكاء ولا أن أطلع "جاك" على عينيّ اللتين احمرتا من فرط الدموع.

لم تجرؤ "ماجالي" على أن تقول لها إنها ليست متأكدة إذا كان "جاك" سيستطيع أن يراها أم لا؛ إذ إنهم ليسوا متأكدين من مدى خطورة الحادثة. منعت نفسها من البوح بأفكارها. لا داعي لإقلاق "إيزابيل" دون داع.

وصلت السيدة "بيوميراك" مع "فيلامون" في السيارة القديمة وبدا عليها الغيظ عندما رأت مظهر "إيزابيل". لم تقل شيئاً ورأت "ماجالي" السيارة وهي تبتعد: كانت منقبضة القلب.

عند وصولهم العيادة دخلت السيدة "بيوميراك" وزوجة ابنها المنتظرة إلى مكتب الطبيب مباشرة. كان رجلاً قصير القامة عيناه لامعتان خلف نظارته الطبية ذات الإطار الذهبي.

قدمت له السيدة "بيوميراك" خطيبة ابنها. وأخرجت "إيزابيل" منديلاً من حقيبتها لتمسح عينيها. أجلس الدكتور الزائرتين وجلس خلف مكتبه وعقد ذراعيه فوق صدره.

قال مخاطباً السيدة "بيوميراك" مما أغاظ "إيزابيل":

- لن أخفي عنك يا سيدتي. إن حالة ابنك خطيرة ليس بسبب الخدوش البسيطة نسبياً ولكن بسبب الصدمة التي تلقاها رأسه.

لقد قذف ابنك من السيارة واصطدم رأسه بحاجز ربما يكون جذع الشجرة الذي وجد عند الحفرة، لقد أثرت الصدمة على عصب النظر.

باختصار لقد أصيب بعمى مؤقت.

أصدرت "إيزابيل" صيحة مختنقة ووضعت المنديل على فمها في دهشة. لم تستطع السيدة "بيوميراك" أن تنبس بكلمة.

قال الطبيب:

- هناك عملية يجب محاولتها ولكنها خطيرة ولا أريده أن يتعرض لها إلا عندما يكون في صحة جيدة ويستطيع أن يعطيني بنفسه موافقته.

أتمنى أن يستطيع مغادرة العيادة خلال أسبوع.

عندما يحاط باهتمام العائلة وحبهم سيكون قادراً على تقبل هذا الاختبار. في هذه الحالة سيجري الدكتور "موران" – الذي تعرفون شهرته – هذه الجراحة وساساعده. آسف لأني تحدثت معكما بهذه القسوة، لكني أعتقد أن هذه هي الطريقة المثلى لمواجهة هذه المحنة. على أية حال، لم تؤثر الصدمة على قدرته العقلية. العملية التي سيجريها قد أجريت قبل ذلك بنجاح لطفل عمره اثنتا عشرة سنة كان قد سقط في النهر.

بقيت السيدة "بيوميراك" لحظة صامتة أما "إيزابيل" فقد احتوت غضبها بصعوبة. قالت:

– يا له من متجمد القلب! كان يجب أن يلطف من الحقيقة...

لقد أخبرته بأنني خطيبة "جاك" ويتحدث دون اهتمام بوجودي ويحكي المصيبة على الفور.

أخيراً قالت السيدة "بيوميراك":

– هل أستطيع أن أراه.

لاحظت "إيزابيل" أن صوت والدة "جاك" مرتعش كأنها تسيطر على دموعها بصعوبة.

نهض الطبيب.

– لا أرى ضيراً في ذلك، لكن يجب أن أخبرك أنه تحت تأثير حقن مهدئة فهو ليس واعياً تماماً.

أضاف مخاطباً "إيزابيل":

– هل ترغبين أيضاً في رؤيته؟

أجابت بجفاء:

– بالتأكيد.

رفع الدكتور حاجبيه معلناً موافقته.

عهد الدكتور بالزائرتين إلى إحدى الممرضات لتوصلهما معتذراً عن عدم استطاعته أن يوصلهما بنفسه.

صعدتا طابقين خلف الممرضة.

كانت الحجرة التي دخلا فيها ملونة باللون الأخضر الفاتح. الجو بها حار

جداً. أخبرتهما الممرضة أنه يجب الحفاظ على هذه الحرارة حتى اليوم التالي لأن في حالته لا يجب أن يصاب المريض بأي برد.

توقعت "إيزابيل" أن ترى "جاك" شاحباً ولا يستطيع الحركة لكنها تأثرت عندما رأته متورداً وبه حركة. كان يتحرك ويتحدث بصوت عالٍ ولكن بطريقة غير مفهومة. ذراعاه ورأسه مغطاة بالأربطة.

جلست السيدة "بيوميراك" على يمين السرير وأمسكت يد ابنها، انهمرت الدموع على خديها على الرغم من محاولتها منعها. شعرت "إيزابيل" بإحساس يتملكها ليس بالحزن على "جاك" ولكن الخوف من المستقبل. تدحرجت دمعة على خدها...

مازال "جاك" يتحرك ويتكلم. فجأة أصبحت كلماته مفهومة قال بوضوح:

– إنه خطؤك يا "إيزابيل"... أنت متوحشة يا "إيزابيل".

رفعت السيدة "بيوميراك" رأسها ببطء.

وحملقت كلتا السيدتين إلى وجه الأخرى دون أن تتكلما.

الفصل الثالث

خلال غياب أختها، لجأت "ماجالي" إلى جدتها. كانت جدتها على علم بالأحداث من خلال "ماريت" التي تنقل لها الأخبار عندما تتأخر حفيداتها عن ذلك.

كانت العجوز تحب عادة سرد تعليقها على الأحداث إلا أنها تراجعت عن ذلك عندما رأت الحزن يكسو وجه "ماجالي". تحدثنا عن كل شيء آخر إلا الحادثة. بينما كانت "ماجالي" تروح وتجيء في عصبية في الحجرة تحت نظرات جدتها والببغاء "أديمار" جاءت "ماريت" لتخبر "ماجالي" أن السيد "جورج" ينتظرها.

أومأت "ماجالي" بإشارة تكشف عن تعبها لقد مر بها الكثير من الأشياء اليوم وهي لا تقوى على رؤية "جورج مونيه". تدخلت جدتها في فضول.

– اذهبي وقد يغير ذلك رأيك.

مر زمن طويل دون أن تستمع "ماجالي" إلى ردود جدتها غير المتوقعة. ابتسمت وهي تنظر إليها.

رددت السيدة العجوز:

– اذهبي، اذهبي وأطلعيه كيف تكون قوة فتيات "بريمونتيه".

وجدت "ماجالي" "جورج" في المكتبة. كان متجهاً بظهره إلى الباب ناظراً إلى الأرض عندما رأت رأسه المنحني كأنه يحمل حملاً ثقيلاً أدركت "ماجالي" أنه يعاني.

استدار عندما سمعها تدخل ورمقها بنظرة امتزج فيها الضيق بالقلق. كان "جورج مونيه" متوسط الطول شديد الشقرة عيناه لونهما بني فاتح. كان شاباً جميلاً لكن بدون ملامح تثير الاهتمام.

كان وجهه من ذلك النوع الذي ينسى بسهولة. على الرغم من ذلك كان نشاطه سبباً في حب عماله وأصدقائه المقربين له.

عهد إليه والده بمسئولية المصنع كاملة. وكانت رحلاته في المنطقة بوجه عام قصيرة جداً نظراً لما يلاقيه من تعب طوال العام.

قال بابتسامة مترددة بعض الشيء.

– أهلاً يا "ماجالي".

للمرة الأولى شعرت "ماجالي" بأنها قد تخلصت من ذلك الشعور الشاق الذي كانت تشعر به كلما كانت تقابله. شعور بالخوف من أن تبدو باردة وغبية، لا تعرف عما تحدثه، شعور بأنها غريبة تماماً عن الرجل الذي اختارت أن تتزوجه.

بدا لها "جورج" فجأة ضعيفاً جداً مثل صبي صغير ينتظر العقاب وجدت "ماجالي" نفسها للمرة الأولى أمام رجل ضعيف ليس كضعف والدها، وتلاشى خجلها تماماً.

أخذت مبادرة الحديث بثقة وشجاعة.

– لا داعي لهذا التوتر يا "جورج"، إن خطوبتنا ليست رسمية ويمكننا إنهاؤها بدون مشكلة...

ترك الشاب نفسه ليسقط في أحد المقاعد مهموماً تماماً، بعد برهة صمت سأل دون أن يرفع رأسه بصوت متردد:

– هل تريدين فسخ الخطوبة يا "ماجالي"؟

أجابته في هدوء:

– يبدو أن هذا هو السؤال الذي طرحته عليك.

لدهشتها سمعته يتنهد ويحدق إليها شارداً. ثم نهض وركع أمامها ماسكاً يديها.

– حاولي أن تفهميني يا "ماجالي"، أرجوك. أنت أفضل وأرق الفتيات وأشعر بأنني أستطيع أن أطلب عفوك. إني بحق تعس لأني متأكد بأنني أحبك، وعلى الرغم من ذلك، لا أعرف أين أكون من حبك. أنت بالنسبة لي الخطيبة المثالية. لقد عرفت ذلك منذ أول مرة رأيتك فيها. وطالما حلمت بك، ولقد حسدت أحلامي عندما ظهرت أمامي أول مرة ترسمين في الحديقة بشغف: بهذه الطريقة الخاصة بك... لقد أحببتك على الفور يا "ماجالي" وإذا تركتني فلن أكون أبداً ذلك الرجل الذي حلمت أن أكون، أرجوك يا عزيزتي ألا تتركيني، أنت بالنسبة لي الحلم الجميل الصافي، أنت حلم حياتي...

خفض رأسه عند ركبتي "ماجالي" فاكتشفت لدهشتها أنه يبكي. لقد

فزعت لذلك. إنها لم ترَ رجلاً يبكي أبداً، إن هذا المشهد بالنسبة لها في ذات الوقت غير لائق وغير مفهوم. إن دموع "جورج" دليل على الشجاعة... ما هذه العاصفة التي تطيح بهذا الشاب إلى هذا الحد؟ هل قبلة واحدة من "إيزابيل" تكفي لكي تحول الرجل القوي الواثق بنفسه إلى ظل يبكي؟!... ما تلك القوة الغريبة التي تمتلكها أختها لكي تحول الصفات الأساسية لإنسان إلى سراب؟

لم تسأل "ماجالي" نفسها كيف تقبل بكل هذا الهدوء أن تستطيع امرأة أخرى أن توتر خطيبها. قلبها الكريم دفعها قبل أي شيء إلى أن تواسيه وتسامحه.

نادته في رفق.

التفت نحوها. لم يعد وجهه معبراً عن اليأس الكامل كما كان منذ لحظات، ولكن بدا على ملامحه معاناة واضحة.

قالت "ماجالي" بصوتها الهادئ الواضح:

– إذا كنت ترغب في ذلك، أقصد... إذا كان يفيد ذلك لكي تعيد التفكير فلن تأخذ أي قرار الآن وأمام الجميع لن يكون هناك أي تغيير.

تقدم "جورج" نحوها ووقف أمام المقعد حيث تجلس.

قال بصوت مرتعش:

– شكراً! إنك بفطرتك طيبة وكريمة، كما أنك بدون خبرة وبعيدة عن مكر المرأة.

بعد أسبوعين، سمح لـ"جاك" بالعودة إلى قصر "بيوميراك".

كانت الحرارة قد توقفت وهب نسيم بارد من الغرب مما سهل عودته. على عتبة الباب كانت السيدة "بيوميراك" و"إيزابيل" تنتظران جنباً إلى جنب سيارة الإسعاف التي تقل المريض.

منذ المرة الأولى التي زارتا فيها السيدتان "جاك" معاً عادتا لزيارته منفصلتين. بعد خروجهما من العيادة لم توجه السيدة "بيوميراك" أية كلمة لـ"إيزابيل"، قادت "إيزابيل" السيارة غاضبة كالمجنونة، ولكن على الرغم من ذلك، لم تطلب منها حماتها المنتظرة أن تبطئ. كانت "إيزابيل" مقتنعة أن السيدة "بيوميراك" تكرهها وأنها ستحاول إقناع ابنها بأن يتركها

على الرغم من أن سلوك "جاك" لم يظهر أي تأثر بوالدته. لقد كان خلال إقامته بالعيادة قليل الصبر ومثالاً للمريض السيئ وكانت الممرضات يتمنين يوم رحيله عن العيادة لشدة عنائهن في تمريضه.

توقفت سيارة الإسعاف في هدوء أمام عتبة المنزل. تقدمت السيدة "بيوميراك" خطوة إلى الأمام فتقدمت "إيزابيل" خطوتين. كانت هذه المعركة الصامتة أمام عيون جميع الخدم الذين كانوا يراقبون بشغف عداء السيدتين، ولكنهم كانوا يتمنون أن تنتهي هذه المعركة نهاية حزينة بالنسبة لـ"إيزابيل". كانوا لا يحبونها ويخشون اليوم الذي تأتي فيه سيدة للقصر!

نزل "جاك" مستنداً إلى عصاه. كان على عينيه نظارة سوداء، ومظهره مؤثر جداً بالنسبة للخدم، وعلى الرغم من أنهم كانوا يعرفون بحال "جاك" إلا أن الدهشة أسكتتهم، لم يجرؤ أحد منهم على التفوه بعبارات الترحيب التي أعدوها.

لقد فقد "جاك" الكثير من وزنه بالإضافة إلى النظارة السوداء التي على عينيه، فكل ذلك قد جعل مظهره مؤثراً. ولكن أكثر ما أثار الدهشة هو هذا التغير الذي طرأ على ملامحه، فقد أحاط فمه تجعيدتان حزينتان واتخذ وجهه تعبير الانتظار الحزين الذي يعتري من فقد بصره حديثاً أو من لم يستطع أن يتقبل فقدان البصر...

حبست السيدة "بيوميراك" دموعها وتقدمت نحو ابنها، تحرر بعض الخدم من عقدة لسانهم وبدؤوا يلقون بعبارات الترحيب والدعاء بالسلامة. متظاهرين بالفرح لعودة السيد وهم يلقون على بعضهم البعض نظرات الحزن والأسى.

كانت "إيزابيل" قد تقدمت بالفعل نحو "جاك" ومدت له ذراعها وقالت:

– اتكئ على ذراعي يا عزيزي ستمشي أفضل.

كان بصوتها نبرة تحدٍ ممزوجة بالانتصار. كانت تعرف ما يظنه بها آل "بيوميراك".

قالت في نفسها: ساريهم هؤلاء الأغبياء المساكين السطوة التي لي على

WWW.REWITY.COM

سيدهم، سيدركون أنه ليس أمامهم سوى أن ينحنوا أمامي إذا أرادوا الحفاظ على مكانهم عندما أصبح سيدة القصر.

هل اكتسب "چاك" الحاسة السادسة التي يكتسبها فاقدو البصر أم أنه يعرف "إيزابيل" جيداً فلم يخف عليه ما يضمره عرضها هذا؟

– أشكرك يا صديقتي العزيزة، أفضل أن أستند إلى ذارع أمي.

سُمعت بعض الضحكات بين الخدم ثم أسكتتها نظرة السيدة "بيوميراك".

غاضبة ومغتاظة بقيت "إيزابيل" لحظة صامتة، ثم عندما أبقى "فيلومين" باب الدخول مفتوحاً أمامها، رفعت رأسها وأزاحت شعرها الطويل خلف ظهرها، ودخلت القصر تابعة "چاك" وأمه في حجرته. أخذ "چاك" يتحسس طريقه ليجد سريره. أعرب عن رغبته في البقاء بمفرده وشرحت له والدته: هناك جرس على طاولة بالقرب من سريره. ثم أغلقت باب حجرته عليه وهي آسفة أما "إيزابيل" فقد جلست على أحد المقاعد في الردهة متحدية. لم تنظر السيدة "بيوميراك" إليها. لقد كانت قلقة جداً بشأن "چاك" مما جعلها لا تفكر أنه في هذه اللحظة بالتحديد تقف سبب المشكلة بالقرب منها.

سُمع صوت شيء ينكسر في الغرفة، أمسكت السيدة "بيوميراك" مقبض الباب في تردد:

سألت مائلة إلى الباب حتى تسمع:

– هل تحتاج إلى شيء يا عزيزي؟

جاءت إجابة "چاك" بصوت غاضب:

– لا: أريد فقط أن تتركوني وشأني. سأرن الجرس عندما أحتاج إلى شيء.

كان قد توصل إلى سريره حيث جلس محاولاً أن يتمالك نفسه: الشيء الذي سقط هو فتاحة الخطابات العاج التي كانت فوق مكتبه... تحسس مفرش السرير. إن الأشياء تأخذ طابعاً شخصياً عندما لا يستطيع الإنسان أن يراها.

تحسس حتى أمسك التمثال الرخام الذي كان والده قد أهداه إياه بمناسبة

نجاحه، كان عملاً لفنان مبتدئ. مفعم بالموهبة ولكن ينتقص إلى الخبرة. إنه تمثال لرجل يصلي، لمسه بأصابعه... شعر "چاك" بانحناء كتفيه.. حركة العنق، الذقن والوجه المبتهل... لكن بينما كان يتأمل التمثال دون أن يراه، فاجأته الحقيقة المفزعة التي كان قد نسيها للحظات.

– إني أعمى بحق! إني لا ألعب لعبة التعرف على الأشياء وأنا معصب العينين كما كنت أفعل وأنا طفل! عندما أفتح عيني يظل الظلام الذي أراه... ظلام ظلام!

صرخ في غضب كالحيوان المحبوس في قفص. وقذف بالتمثال بكل قوته خلال الغرفة فارتطم بالحائط وتهشم.

تنفس "چاك" بصوت مرتفع دون أن يستطيع أن يستعيد هدوءه... فجأة شعر بوجود شخص ما.. هناك من يراقبه... كان متأكداً أنها "إيزابيل".

سأل:

– هل هذه أنت يا "إيزابيل"؟

أجابه الصمت. كم هو مؤلم هذا الصمت الذي يسكنه شيء ما ولا يستطيع أن يراه.

عندئذ أمسك الجرس وأخذ يحركه في الهواء بثورة كبيرة، فسمع صوت الباب وهو يغلق بسرعة بهدوء وحذر.

الفصل الرابع

عادت "إيزابيل" إلى بيتها في حالة من الغضب والغيظ لم تستطع أن تسيطر عليهما.

كانت السيدة "بريمونتيه" في المكتبة.

– "إيزابيل"... تعالي لتكلميني.

تسمرت "إيزابيل" عند درجات السلم فريسة للغضب الذي زاده تدخل أمها في أكثر وقت تحتاج فيه إلى أن تكون بمفردها.

على الرغم من ذلك أذعنت مقتنعة أنها إذا رفضت فسينتج عن ذلك شكوى أمها. إنها تخشى الآن من الحديث الذي تريد أن تفتحه السيدة "بريمونتيه"...

قالت الأم: عندما أصبحت أمام "إيزابيل":

– "إيزابيل" أنت لم تعطيني أخباراً عن خطيبك: ما حاله؟

أجابت "إيزابيل" في جفاف:

– بخير.

نظرت إليها السيدة "بريمونتيه" وقد ظهر عليها الضيق – ماذا بك يا طفلتي؟ لا تبدين سعيدة.

كانت تعرف كيف تتحدث مع ابنتها وتنتزع منها ما تريد أن تعرفه.

على الفور انفجرت "إيزابيل":

– لقد نلت ما يكفي! كفى! كفى!.. لا أريد أن أهتم بأعمى، لا أريد أن أكون زوجته وممرضته الأبدية... إني شابة وجميلة جداً حتى أدفن نفسي معه: أستطيع أن أفعل أي شيء إلاّ أن أبقى خطيبة هذا العاجز واحتمل رعايته وانفعالاته.

بدت دهشة السيدة "بريمونتيه" أمام غضب "إيزابيل" الشديد. إنها لا تستطيع أن ترى خططها التي رسمتها واتخذت مبادرة تنفيذها تنهار أمام عينيها. لقد كان زواج ابنتيها وسيلة حتى لا تواجه أبداً العيش في مستوى أقل مما تعيش فيه ولا تفقد حياة الرفاهية والبذخ.

استدارت نحو ابنتها واضعة يدها على قلبها.

– يا عزيزتي الصغيرة أعرف انفعالاتك هذه جيداً.

نظرت إليها "إيزابيل" في تشكك وهي تعرف جيداً أن التفهم ليس من طباع والدتها.

استطردت الأم:

– أتفهم جيداً انفعالاتك، لكن يجب أن أنصحك بالصبر تجاه خطيبك الذي في حال يلتمس له فيها العذر. من ناحية أخرى، ساكون صريحة معك رغم قسوة ذلك فهناك مثل ينطبق على حالك وهو: "لا يجب السعي وراء فريستين في آن واحد".

أو المثل الآخر الذي يقول "عصفور في اليد"...

وفجأة صاحت الأم:

– الإبريق يا "إيزابيل"! إبريقي الذي ورثه جدي عن الملك "لويس"..

لقد قذفت "إيزابيل" بالإبريق على الأرض فتحول إلى قطع صغيرة لامعة. مما حول تفكير السيدة بريمونتيه" عن سرد الأمثال.

على الرغم من ذلك. لم تهدأ "إيزابيل".

قالت بنبرة سيئة:

– إنه ليس لجدك بل لأبي على أية حال... ولا أستطيع أن أحتمل منك ولا من أي أحد آخر سماع هذه الأشياء التي تقولينها: هل تعامليني على أنني فتاة قبيحة قد تخلى عنها خطيبها. حسن سأبرهن لك عكس ذلك.

صمتت برهة:

– "جورج" يريد أن يتزوجني!

لم تعرف السيدة "بريمونتيه" بماذا تجيب. كان ذهنها يحاول تلخيص الموقف ولم تستطع أن تقرر إذا كان عليها أن تهنئ "إيزابيل" أو أن تصرخ من الدهشة.

وأخيراً توصلت إلى أن تهمس:

– إنه لم يفسخ خطوبته مع "ماجالي".

ندمت "إيزابيل" على كذبتها وعلى النتائج المخزية التي ستتبعها ولكنها لم تستطع أن تتراجع.

قالت مؤكدة:

– سيفعل!

في هذه اللحظة دلفت "ماجالي" إلى الحجرة... كانت بيضاء تماماً مثل الثوب الذي يتدلى على ساقيها... منذ متى وهي هنا؟ نظرت إليها السيدة "بريمونتيه" وكأنها تعتذر لها.

قالت "ماجالي" بصوت متكسر:

– لقد سمعت كل شيء، إني حريصة على أن أصرح لـ"إيزابيل" بأنني لست غاضبة منها... أعتقد أن كل شيء سينتهي على هذا النحو.

وبحركة مسرحية كالمعتاد قالت السيدة "بريمونتيه" ما لا يجب أن تقوله:

– حسن ما فعلت يا صغيرتي، حسن ما فعلت!

ووضعت على عينيها منديلا حريريا لتظهر كم هي متأثرة وقالت:

– "إيزابيل"، أعتقد أنه يجب عليك أن تقبلي أختك.

ضحكت "إيزابيل" في سخرية:

– لا أحب العروض العائلية وسأترك "جاك" لـ"ماجالي". ستكون بالنسبة له ممرضة مثالية.

أشاحت بوجهها وخرجت من الحجرة بعد أن نظرت بعداء لـ"ماجالي" التي شعرت في حيرة أن الأمر ليس سعيداً بالنسبة لـ"إيزابيل" على الرغم من أنها أرادت أن تظهر ذلك.

نهضت السيدة "بريمونتيه" ومدت ذراعيها إلى "ماجالي" بطريقة مسرحية.

لكن لم يكن لدى "ماجالي" القوة لكي تشترك في هذه المسرحية الهزلية. خفضت عينيها في حرج.

قالت في رفق:

– أرجو المعذرة يا أمي لكني سأصعد إلى غرفتي.

أجابت الأم على الفور بنبرة تنم عن شخص يعرف كل شيء:

– بالتأكيد يا صغيرتي اذهبي لتستريحي يا صغيرتي المسكينة.

وضعت المنديل مرة أخرى على عينيها وهزت رأسها رافعة عينيها إلى السماء.

وهمست:

– رائع!

ورددت وهي تنظر إلى المرآة عندما كانت "ماجالي" قد غادرت الحجرة بالفعل.

– رائع!

رتبت خصلة من شعرها فإن الشعر الأشعث لا يليق بشخصية أم ممزقة بين ابنة رائعة وأخرى لا يقاومها الرجال... وبعد ذلك جلست غارقة في الحسابات والأحلام التي لا نهاية لها والتي كل أساسها ثروة آل "مونيه".

في تلك الأثناء لم تتوجه "ماجالي" إلى غرفتها بل إلى غرفة جدتها. التي كانت تداعب "توبي" وتجعله يتحرك على قدميه الخلفيتين وتلوح له بقطعة بسكويت. رفعت عينيها فوجدت وجه "ماجالي" فتركت قطعة البسكويت لتسقط ويلتقطها "توبي" ويلتهمها بسرعة.

لم تسألها ماذا هنالك، وضعت يدها على شعر حفيدتها الناعم التي جلست عند قدميها. صمتت "ماجالي" برهة قبل أن تتحدث ويد جدتها ترتعش على رأسها. لقد أساءوا إلى "ماجالي"، إن قلبها العجوز يشعر بذلك.

تحدثت "ماجالي" أخيراً بعد أن استعادت بعض هدوئها:

– "چورچ" يريد أن يفسخ خطوبته معي ويريد أن يتزوج "إيزابيل".

زفرت السيدة العجوز بعمق، وارتسمت على وجهها علامات محيرة. ما بين الألم لما أصاب "ماجالي" وفرحة خفية.

سألتها:

– متى قال ذلك؟

– لم يقل لي ذلك بعد لكنه، أخبر "إيزابيل" بما قرره.

زمجرت الجدة.

– ذلك الجبان! الغبي! يا له من شيء مخزٍ!، هذا سخف! وأمر غير مسموح به. إنه يستحق أن يصفع. هل له الجرأة أن يمثل أمامي؟

كادت تختنق من شدة الغضب. شعرت "ماجالي" بالقلق وعاتبت نفسها لأنها أخبرتها بهذا الخبر قبل أن تمهد له.

– يا جدتي الطيبة، أرجوك ليس لهذا الأمر أية أهمية.

نظرت إليها جدتها كأنها تظنها قد جنت.

– ليست لهذا الأمر أية أهمية؟ أن يفعل ذلك بواحدة من بنات آل

"بريمونتيه". اذهبي واحضري لي "جورج مونيه" هنا. قد يكون غبياً لدرجة أن يقع في شباك "إيزابيل" ولكنه ليس لديه العذر في أن يترك نفسه يقاد كالدمية. في زمني عندما يقرّر الزواج من فتاة، يتم الزواج بها. ولا يغير الشاب رأيه كأنها قطعة ملابس يريد تغييرها وإذا حدث فسخ للخطوبة يحدث ذلك بطريقة لا تجرح الفتاة!

صاحت وهي تضرب الأرض بعصاها:

– لقد أهانك. لا تستطيعين إنكار ذلك.

– يا جدتي! أرجوك! اهدئي! ساراه.

سألت جدتها وهي في قمة دهشتها:

– سترينه؟

قالت "ماجالي" بصوت كله حزم:

– يجب أن أحدد كل شيء.

صاحت الجدة في سخرية:

– ألم تحدد الأمور بعد؟

أجابت "ماجالي" في عناد:

– ليس كما أريد.

هدأت السيدة العجوز. إنها تذعن دائماً أمام رغبة "ماجالي" ولقد استشفت لدى "ماجالي" تصميماً واضحاً على أن تتصرف كما تريد.

قالت الجدة:

– أرى إذن أنك لم تأتي طالبة النصح.

أجابت "ماجالي" في حنان:

– لا يا جدتي إنها ليست النصيحة. أردت أن أراك، هذا كل شيء.

قبلت اليد الصغيرة النحيفة التي سحبتها جدتها على الفور وسعلت حتى تواري تأثرها.

– إيه حسن، في هذه الحالة لقد رأيتني. اذهبي وافعلي ما تشائين، ولكن أخبريني.. ما دور "جاك بريمونتيه" في كل ذلك.

عقدت "ماجالي" حاجبيها مفكرة:

– لست أدري...

قالت السيدة العجوز:

– لدي فكرة: لماذا لا تأخذين مكان أختك؟

أومأت "ماجالي" معترضة.

قاطعتها الجدة:

– لا تتسرعي. أنا لا أنصحك بأن تتزوجي خطيب أختك؛ لأنها تخلت عنه، لكني أقصد أن هذا القرار في ظروفه الحالية قد يكون بالنسبة له صدمة كبيرة لا يستطيع أن يتحملها... كما أن صوتك يشبه صوت أختك تماماً.

وبذلك تستطيعين أن تكوني بالقرب منه بدلا من "إيزابيل". حتى تمر هذه المحنة ويشفى.

نظرت "ماجالي" بدهشة إلى وجه جدتها الذي ارتسمت عليه علامات النصر.

– لا يمكن أن تفكري في ذلك يا جدتي!

– على العكس إني أفكر في ذلك، بل وأفكر فيه أكثر وأكثر وأرى أنه ليس مجرد عمل طيب فحسب ولكنه أيضاً عمل إنساني واجب. ولن يفوت كاهن (برج – سالين) نفسه أن يعضد بنفسه هذا العمل.

– هل أنت متأكدة من ذلك يا جدتي؟

– تماما: فكري قليلاً في "جاك" المسكين إذا ذهبت أختك الملعونة وأخبرته بقرارها برقتها المصطنعة.

اتخذت السيدة العجوز صوتاً مصطنعاً:

– عزيزي. لم أعد أرغب فيك ولا في عينيك اللتين لن تستطيعا أن تريا قسمات وجهي وحركاته المصطنعة طوال اليوم! أفضل أن أتزوج ذلك الأحمق الكبير الذي يدعى "جورج مونيه".

لم تستطع "ماجالي" أن تمنع نفسها من الضحك.

أجابت:

– على الرغم من كل ذلك أجد أن ذلك بعيد عن الإخلاص وأسأل نفسي إذا لم يغضب مني "جاك" في اليوم الذي يكتشف فيه الحقيقة.

تنهدت السيدة العجوز في غيظ.

– أوه: الكثير من التشكك! فكرتي هذه جيدة وسأتحدث عنها بنفسي

مع أمك:

قالت "ماجالي" على الفور:

– لا يا جدتي أؤكد لك أنه لا داعي من ذلك.

دائماً ما تتحول الحوارات بين "أديلي بريمونتيه" الجدة وزوجة ابنها إلى مشاجرات وذلك بسبب حديث الجدة اللاذع وميل زوجة الابن إلى التمثيل.

قالت الجدة في مكر:

– أعدك أن أكون لطيفة بالقدر الكافي.

أمام مظهر "ماجالي" غير المصدق استطردت ساخرة وهي تمد إليها يدها:

– أقسم لك! لكن عديني خلال ذلك الوقت أن تسوي موقفك مع هذا الأحمق الذي يدعى "جورج مونيه".

أومأت "ماجالي" برأسها. لا فائدة من الاعتراض على وصف "جورج" بانه أحمق كما أنه لا فائدة من محاولة منع هذا الحوار مع أمها وجدتها التي كانت أكثر عناداً من الجمل.

قبلت في حنان جدتها ووعدتها بأن تخبر أمها بأنها تريد محادثتها.

أظهرت السيدة "بريمونتيه" عدم رضاها عندما أخبرتها ابنتها، ولكنها نهضت لتذهب لمواجهة حماتها.

أمسكت "ماجالي" التليفون وطلبت منزل "جورج". لم يكن موجوداً فشعرت بارتياح مؤقت. إنها مباراة مؤجلة فحسب؛ لأنها عندما خرجت من القصر كان أول من قابلت هو "جورج" الذي كان يقف مترددا في الحديقة. نظر إليها وهي تأتي نحوه دون أن يخطو خطوة واحدة ليقابلها وعندما أصبحت إلى جواره لاحظت أنه شاحب تماماً ويتجنب النظر إليها.

ابتسمت إليه على الرغم من ذلك قبل أن تقول له الجملة التي رددتها عدة مرات في رأسها دون أن تتوصل إلى جملة أكثر بساطة.

– لقد أخبرتني "إيزابيل" بكل شيء يا "جورج"! لن تكون متضايقاً إلى هذا الحد! أن تجعل الأمور أكثر صعوبة بالنسبة لي.

قال:

– آسف، ماذا تقولين؟

شعرت "ماجالي" أن قدميها لا تحملانها.

قالت بصعوبة:

– هل طلبت من "إيزابيل" أن تتزوجها؟

قال "جورج" في دهشة غير مصطنعة:

– من استطاع أن يقول لك ذلك؟

– هي نفسها.

سمعا صوتاً عدائياً بالقرب منهما:

– لقد كذبت إذن.

ظهرت "إيزابيل" بالقرب منهما. وعيناها السوداوان تنظران إليهما في تحد.

رددت "إيزابيل":

– لقد كذبت، لكن لا يهمني. اذهبا واحكيا كل شيء للملكة الأم ستمنحكما التاج النوراني الذي تعتقدان أنكما تستحقانه. إنكما تعتقدان أنكما ملاكان صغيران. تماماً ستكونان زوجين مثاليين. سيعجب بكما العالم وستكونان مثال الفضيلة البرجوازية وساكون أنا المثال المعاكس الذي تشير إليه الأمهات حتى تتجنب بناتهن العزيزات السير في نفس الطريق.

ضحكت في سخرية. وعيناها تلمعان وخداها الأحمران دليل على انفعالها.

نظرت "ماجالي" إلى "جورج" نظرات حائرة كانها تطلب منه عونا ما. لكن "جورج" صمت متضايقاً: لا يعرف ماذا يقول أمام هذا الانفجار المفاجئ. سادت لحظة صمت ثقيلة ثم انخرطت "إيزابيل" فجاة في البكاء ورحلت وهي تجري تاركة "جورج" و"ماجالي" متسمرين في مكانهما وغير قادرين على التصرف.

أزاحت "ماجالي" عنها الصمت أولاً وقالت بصوت يفتقد إلى الثقة:

– أعتقد أن جدتي قد وجدت الحل الأمثل!

أمام الاستفهام الذي ارتسم على وجه "جورج"، تابعت حديثها:

– لقد نصحتني أن آخذ مؤقتاً مكان "إيزابيل" بالقرب من "جاك".

شرحت في اختصار إلى "جورج مونيه" ما اقترحته عليها جدتها. ثم أضافت:

– ثلاثتنا: أنا وأنت و"إيزابيل" نعيش في ظروف يصعب فيها اتخاذ قرار. لكن إذا قبلت "إيزابيل" هذه الحيلة فسيكون في نفس الوقت خدمة

نقدمها لـ "جاك" وفرصة لها حتى تفكر ولا تتسرع في أن تسلك هذا الطريق أو ذاك.

توردت قليلاً وأضافت بصوت منخفض:

– أعتقد يا "جورج" أن هذا لا يمنعني – بالنسبة لي – أن أحلك من وعدك.

عند هذه الكلمات شحب "جورج" وقال:

– لكن، يا "ماجالي" لقد قلت تواً إن هذه الأوقات لا يمكن أن يتخذ فيها أي قرار.

استوقفته:

– هذا القرار اتخذته منذ وقت بعيد يا عزيزي "جورج" لكني لم توانني الشجاعة ولا القوة حتى أعرب لك عن هذا الرأي.

أرى الآن كم كنت جبانة.

أمسك "جورج" رسغيها ونظر إليها في إصرار.

– هل تستطيعين أن تقسمي لي يا "ماجالي" إنك لن تتركيني بسبب "إيزابيل"؟

قالت "ماجالي" بابتسامة شاحبة:

– لن أقسم أبداً.

تركها "جورج" ورجع إلى الوراء خطوة واضعاً يده على جبينه. قال:

– أعتقد أنني أستحق ذلك لكنها ضربة قاسية. لكني لم أعرف كيف أشرح لك مدى احتياجي إليك...

أجابت "ماجالي".

– أعتقد أنني أفهمك يا "جورج" ولكن هل تعتقد أن ذلك يبرر انتظاراً لن يخلف شيئاً؟

– هل تحكمين علي بهذه القسوة؟

– هذا ليس حكمي يا "جورج" ولكنه حكم قلبي.

– أنت لا تحبينني على الإطلاق إذن؟

– إني أقدرك تماماً وأكن لك الكثير من الود أعتقد أنه سيتحول إلى

حب، لكني تبينت أن ذلك لن يحدث، وإني على يقين الآن أنها نذالة مني أن أترك هذا الموقف يستمر.

أضافت بجدية:

– في الحقيقة أنا لم أخلق للزواج ومن الأفضل أن أبقى عانساً أو أن أترهب.

قال "جورج": هل تعتقدين ذلك حقاً؟

تأملها لحظة. وشعاع الشمس يضيء وجهها برفق بينما كانت عابسة الحاجبين محاولة ألا تجرحه بحديثها. فكر في أنه لم يتعامل معها أبداً على أنه محب بل على أنه أخ كبير ربما ذلك ما خيب أملها!... كانت توحي له باحترام عميق تجاهها ورغبة حية في حمايتها بعكس عاطفته الجسدية نحو "إيزابيل". إن "إيزابيل" تشعل نار العاطفة كأنها رياح تهب من صحراء ساخنة لكن دون جدوى! تساءل عمّا إذا كان قد أساء التصرف.

اقترب من "ماجالي" وأمسك كتفيها. أدارت نحوه وجهها المضيء وعينيها الرائعتين اللتين قرأ فيهما سؤالاً صامتاً ومؤلماً. عندئذ أدرك أنها قالت الحقيقة، عندئذ استدار عنها.

نظرت إليه دهشة قليلاً وهو يبتعد دون أن يضيف كلمة واحدة. فجأة صاحت كأنها تحدث طفلاً غاضباً:

– إني أحبك يا "جورج".

فجأة شعرت بأنها حمقاء لأنها تفوهت بهذا الحديث لكنه استدار وابتسم إليها.

قال دون أي سخرية:– شكراً.

كانت المناقشة مع "إيزابيل" أسهل مما كانت تتصور. كانت قد جففت دموعها وتمالكت نفسها كالمعتاد. بدا أن فكرة جدتها قد رسمت الابتسامة على شفتيها.

قالت "ماجالي" وهي تلف طرف الشال الذي يلتف حول كتفيها:

– إني أتساءل إذا كان "جاك" لن يشك في شيء حقاً؟

إنه حاذق كما تعرفين! يجب أن تحترسي حتى لا ينتابه أي شك.

شعرت "ماجالي" بالغيظ يتولد في قلبها، لكنها عندما فكرت في غضب أمه خلال الأحداث الأخيرة ووحدة "جاك" تراجعت وقالت في رفق:

– على أية حال لن يستمر ذلك طويلاً: فقط حتى يقرر "جاك" إجراء العملية.

أخذت "إيزابيل" تضحك.

– لا طائل من الأمل في ذلك لن يتوصل إلى هذا القرار!

إنه يخشى هذه العملية تماماً.

نظرت "ماجالي" إلى أختها غير مصدقة.

– "جاك"؟ يخاف؟ "جاك" الذي يقود السيارة بكل سرعة متحدياً كل معايير الحذر والذي لا يتردد في ركوب الخيول قبل ترويضها؟

ضحكت "إيزابيل" من جديد وقالت ساخرة:

– كان ذلك عن غير وعي! كان مقتنعاً أن شيئاً لن يحدث له! الآن وقد اضطر أن يعرف أنه معرض للإصابة فهو يخشى على حياته!

أدركت "ماجالي" بكل وضوح أن "إيزابيل" قد استعادت رعونتها وسخريتها اللاذعة لأن الأمور قد ترتبت بحيث لا تمسها أي إهانة. رأت أمراً بسيطا وسهلاً أن تعتني أختها بـ"جاك" مكانها حتى ينتهي الأمر في مصلحتها.

لاحظت "إيزابيل" أنها تجاوزت حدودها وخشيت أن تغير "ماجالي" رأيها فاضافت بسرعة:

– أشكرك على أية حال لما ستفعلينه.

لم تستشعر "ماجالي" الصدق في كلمات الشكر التي تفوهت بها أختها. فضّلت أن تخرج دون أن تجيب.

أخبرت السيدة "بريمونتيه" السيدة "بيوميراك" أن "ماجالي" ستأخذ مكان أختها "إيزابيل" في رعاية "جاك".

وبما أن هذا الحديث قد دار عبر الهاتف، لم تفهم السيدة "بيوميراك" في البداية شيئاً.

لقد اعتقدت أنها مزحة نتيجة لفكرة "إيزابيل".

لقد كانت السيدة "بريمونتيه" دهشة في البداية من هذه الفكرة لكنها تحققت أمام امتناع "إيزابيل" عن العناية بخطيبها أنه لم يعد أمامها سوى هذا الحل. لقد أساءت تقديم هذه الفكرة للسيدة "بيوميراك" التي أدركت

أن طيبة قلب "ماجالي" قد تدخلت في هذا الأمر. ولتتخلص من حديث السيدة "بريمونتيه" التي لا تتعب من الكلام قالت السيدة "بيوميراك" إنها ستستقبل "ماجالي" في اليوم التالي بكل سرور وأنها تقبل الفكرة، وعلى ذلك أنهت المكالمة لتتجنب عبارات العطف والشفقة...

في اليوم التالي، وصلت "ماجالي" إلى قصر "بيوميراك" في اضطراب لم تستطع أن تتجاهله. دهشت لشعورها بالذنب في حين أنها تقدم خدمة كبيرة لصديق طفولتها. حتى ابتسامة السيدة "بيوميراك" لم تتوصل إلى تهدئتها.

كان "جاك" جالساً بالقرب من النافذة مثل كل يوم وفزعت "ماجالي" أمام شحوبه ومظهره التعس. شعرت تجاهه بالعطف عندما استدار نحوها وعيناه تغطيهما النظارة السوداء. بدا لها أن خلف هذه النظارة الداكنة عينين تعيشان وترياانها وأنه سينطق باسمها... لكنه قال:

– هل هذه أنت يا "إيزابيل"؟

انفلت من "ماجالي" زفرة ارتياح.

قالت متوردة من هذه الكذبة الأولى:

– نعم، إنه أنا.

خفض "جاك" رأسه كأنه يتفحصها.

– صوتك اليوم مفعم بالعقل! يا إلهي كأنك تقلدين أختك الفاتنة الحمقاء!

ارتعشت "ماجالي" وبقيت صامتة. فكرت في يأس أنها لن تستطيع أن تتحمل المواجهات التي تنتظرها، ثم استعادت شجاعتها وقالت مقلدة صوت أختها القاسي:

– لا أفهم ماذا تقصد. إني أتكلم تماماً كالمعتاد!

كان "جاك" مازال ينظر إليها وابتسامتها الساخرة تعذبها. فكرت أنه بالتأكيد قد اكتشف الخدعة.

لكنه استطرد:

– ماذا ستقرئين لي اليوم؟ أتمنى ألا تكوني قد أحضرت كتاباً من نفس النوعية التي أحضرتها بالأمس.

لم تكن "ماجالي" تعرف بهذا الأمر. صمتت محاولة أن تجد إجابة.

انتهت بأن قالت:

– لا أعرف إذا كنت تريد القراءة اليوم. إنني لم أحضر معي شيئاً.

ضحك "چاك":

– لا، لا أريد القراءة. احكي لي ما الذي يدور بالخارج.

تشبثت يداه بذراعي المقعد.

واستطرد بنبرة بها حرارة:

– بما أنني لا أستطيع أن أرى.

بينما كانت "ماجالي" تحكي له – متجنبة أن تجرحه – ما يدور في هذه الحياة التي لم يعد قادراً على رؤيتها استطرد:

– ترددك يدهشني. إن الشيء الوحيد الذي تجيدينه هو: وصف الجميع والسخرية منهم خاصة والدتك التي تناوه ووالدك الذي يجمع الطوابع وأختك التي تحاول أن تكون قديسة...

لم تستطع "ماجالي" أن تمنع نفسها من الاستنكار مما اضحك "چاك".

– هيا! هاأنت قد غضبت! إن طيبتك المصطنعة قد سقطت يا صديقتي المسكينة، لم تصمد طويلاً. هيا كوني لطيفة وأضحكينا قليلاً. احكي لي آخر مغامرات القديسة "ماجالي" ستربن أن هذه الحمقاء التي تبدو بريئة ستنتهي بأن تحصد كل أموال جدتك.

أجابت "ماجالي" تلقائياً:

– لقد تبرعت جدتي بثروتها لهيئة خيرية.

– هذا ما أريده تماماً! سيكون مشهداً مضحكا عند رؤية هذه الحمقاء الصغيرة التي لم تتخيل ألا تأخذ شيئاً.

توصلت أن تقول وهي تشعر بالألم أن تكتشف ما الذي يظنه بها "چاك"...

– لا أعتقد ذلك.

في هذه اللحظة دق باب الغرفة.

سأل "چاك".

– من؟

بدلاً من الإجابة، فتح الباب قليلاً ظهر وجه رقيق لرجل في الخمسين تقريباً. نظر إلى "چاك" ثم إلى "ماجالي" التي شحبت. لقد عرفت والد

"چاك". إذا كان قد جاء مباشرة دون أن يرى السيدة "بيوميراك" فإنه يجهل إذن أن "ماجالي" تأخذ مكان أختها. تسمرت في مكانها لا تعرف ماذا تفعل نظرت إليه وهو يتقدم نحوهما مبتسماً.

توقف "لوران بيوميراك" أمام "چاك". قال بصوت مفعم بالعاطفة:

– إنه أبوك يا صغيري.

انحنى وأخذ وجهه بين يديه وقبله عدة مرات على جبينه. ثم انتصب فلاحظت "ماجالي" أن عينيه تلمعان كأنه يكاد يبكي. صمتت "ماجالي" من الواضح أنه تأثر بعطف والده وأمسك يد والده كأنه طفل يطلب المساعدة.

ابتسم السيد "بيوميراك" معتذراً لـ"ماجالي".

– ما حالك يا "ماجالي"؟

شعرت "ماجالي" أن قلبها قد توقف عن الحركة.

بقي لها شيء واحد تستطيع أن تحاوله...

نهضت ووقفت بالقرب من "لوران بيوميراك" ونظرت في عينيه. لقد لاح لوالد "چاك" أن هناك شيئا ما ولكنه لم يستطع أن يعرف ماذا هنالك.

قالت "ماجالي" مقلدة نبرة أختها الفاترة في مثل هذه المواقف:

أنا سعيدة لأن أراك يا سيدي، لكن ما يحزنني أنك لا تتذكرني بشكل كاف حتى تناديني باسم أختي.

سادت لحظة صمت نظر فيها "لوران بيوميراك" إلى "ماجالي" كأنها مجنونة. لكنه تماسك وأدرك اللعبة واشترك فيها. مما أراح "ماجالي". قال:

– أرجو المعذرة يا عزيزتي "إيزابيل" لا أعرف أين ذهب عقلي. إنني لم أنسك بالفعل. ولم أنس أختك الجميلة.

قال "چاك":– هذا يدهشني. إنك لم تغضبي ولم تعترضي يا "إيزابيل" كيف تقبلين أن يمتدح أحد خلافك في وجودك؟

قالت "ماجالي" مقلدة أختها:

– أنت ولد سيئ يا "چاك" أن تتفوه بذلك وخاصة أمام والدك.

نظر الرجل المسكين إلى الباب في اضطراب متمنياً أن يأتي أحد يوضح له هذا الموقف غير المفهوم. تحققت أمنيته الصامتة وفتح الباب ودخلت السيدة "بيوميراك" وتقدمت نحو زوجها مبتسمة.

الفصل الخامس

كان اليوم التالي يوماً لاحتفال كبير. إنه عيد ميلاد "أديلي دي بريمونتيه" الثمانون. كان الغداء عظيماً. طرزت "بيبي" لجدتها مداساً جميلاً ولم تكن قد انتهت من الزوج الآخر. لكنها وعدت أن تنتهي منه بسرعة. كما طرزت ثلاث ستـرات لكل من "توبي"، "أديمار" و"بوم"... اغـتـاظت السـيـدة "بريمونتيه" من مبالغة ابنتها الصغري ولكن شكرت الجدة كثيراً حفيدتها وأكدت لها أن هداياها هي أكثر الهدايا التي أسعدتها. أما السيدة "بريمونتيه" فقد جالت بالمدينة كلها حتى تجد المارون جلاسيه التي تحبها حماتها، وقد جلست أثناء تناول الطعام وعلى وجهها علامات المغلوب على أمره.

أهدت "ماجالي" إلى جدتها صورتها التي انتهت من رسمها محاطة بإطار جميل من الخشب المذهب وقد بذلت فيه كل مدخراتها، إلا أنها لم تعر لذلك انتباهاً أمام سعادة جدتها. وإطرائها على مهارتها في الرسم.

قالت عدة مرات:

– أنا فخور بك.

وكانت هذه هي أفضل كلمات الاستحسان التي ترغب في أن تسمعها "ماجالي".

بعد العشاء: انطلقت الألعاب النارية في سماء الحديقة. وعد "جاك" بأن يحضر، ولكنه لم يأت. مالت "أديلي بريمونتيه" نحو حفيدتها "ماجالي" التي كانت تجلس إلى جوارها وقالت لها بصوت منخفض:

– اذهبي لتحضريه.

نظرت إليها "ماجالي" في تردد.

رددت السيدة العجوز بصوت آمر:

– هيا اذهبي. إنني متأكدة أنه لا يريد أن يأتي. فرحة الآخرين تجعله حزيناً. إنه وحيد هناك. إذا لم تستطيعي أن تحضريه فعلى الأقل كوني معه. افعلي له هذا المعروف وأسعديني.

حدثت "ماجالي" نفسها بأن "جاك" سيستقبلها بطريقته المعتادة، لكنها لا تعرف أن ترفض لجدتها طلباً.

قالت بدون حماس:

– سأحاول أن أحضره.

في نفس اللحظة، انطلقت الألعاب النارية من الجرن القريب.

دمدمت السيدة العجوز:

– يا لغرابة ذلك!

وثب السيد "بريمونتيه" و"لوران بيوميراك" وأخذا "باسكال" و"بيبي" بعيداً وعليهما بقايا القش وقد تلوث وجهاهما بالسواد. كان "باسكال" يبكي و"بيبي" لأول مرة يبدو عليها الفزع.

مؤكدة أن الألعاب النارية لا تمثل لغزاً بالنسبة لها وأنها قد نجحت في تسلية الجميع وقد أطلعت "باسكال" على مواهبها في إطلاق الألعاب النارية.

الآن قد أدركت أنها ارتكبت حماقة ربما ستنال العقاب عليها. أذعنت بالتوجه مباشرة إلى حجرتها عندما هم والدها لأول مرة بصفعها وتدخلت "أديلي بريمونتيه". وطلبت أن يؤجل العقاب إكراماً لعيد ميلادها. جلست "بيبي" صامتة إلى جوارها، خافضة رأسها بينما انخرطوا في إخماد الحريق الذي تسببت فيه، ومن حسن الحظ أن كل شيء انتهى بسرعة. أرادت "ماجالي" أن تذهب لمساعدة الآخرين ولكن تدخلت جدتها مرة أخرى.

– سيعالج هذا الأمر! اذهبي بحق السماء وأحضري "جاك".

لم ير أحد – وسط الاهتمام بإخماد النار – "ماجالي" وهي تبتعد في اتجاه قصر "بيوميراك" تحت أنظار جدتها.

كان قصر "بيوميراك" غارقاً في السكون مثل قصر الجميلة النائمة. لم تكن هناك أي نافذة مضاءة. كان الباب مواربا وصعدت "ماجالي" السلم...

دقت باب "جاك" في هدوء أجاب صوته بالدخول.

كانت الغرفة غارقة في الظلام، ولكن في ضوء القمر اكتشفت "ماجالي" "جاك" في مقعده بالقرب من النافذة.

عيناه الميتتان متجهتان نحو الليل واستشفت "ماجالي" لمعة على خديه.

فاض قلبها بالشفقة أن تراه على هذا النحو وحيداً يائساً لدرجة أن يدمع..

على طاولة بالقرب منه كان طعامه الذي لم يلمسه.

اقتربت "ماجالي" وقالت بصوت حاولت أن يكون طبيعياً.

– إني أتضور جوعاً. لم آكل شيئاً... هل أستطيع أن آخذ ثمرة فاكهة.

أدار وجهه نحوها وأجاب بصوت متعب:

– كلي ما تريدين يا جميلتي، أنا لست جائعاً.

إن شبابك وجمالك يحتاجان إلى الطعام أما أنا فقد أصبح ذلك عديم القيمة بالنسبة لي. كما ترين لم أتناول شيئاً. الطعام يشعرني بالغثيان... كيف جئت إلي بدلاً من أن تبقي مع الآخرين وأنت التي تحبين الحركة والمرح؟ لا تجيبيني، دعيني أحلم بأنك تشبهين تلك الفتاة التي عانقتها لأول مرة منذ عام... كنت تبدين رقيقة جداً وتحتاجين إلى الحماية! أيتها النمرة الصغيرة!.. تعرفين أنني لست غاضباً منك في أعماقي... لا تبالي لسوء مزاجي. دعيني أحلم بأنك أصبحت عاقلة طيبة ورقيقة. لا تغضبي... كما ترين أنني مازلت أحبك.

أخذ قلب "ماجالي" يدق بجنون. من المؤلم أن تسمع كلمات حب يقصد بها أخرى. لم يحدثها أحد أبداً من قبل بهذه الكلمات. كانت تستمع لـ"جاك" بتأثر تلوم نفسها عليه.

إن هذه الكلمات المقصود بها أختها وليست هي.. حاولت أن تفيق من هذا السحر.

قالت:– أسعدني وكل قليلاً معي.

– هل سيسعدك ذلك حقاً؟

– نعم من فضلك.

– حسن، أطعميني قليلاً من العنب، لا أريدك أن تريني وأنا أبحث عن الطبق والطعام. بما أني أظهر أمامك بكل ضعفي وأنك تحاولين أن تكوني لطيفة إذن لنذهب إلى النهاية وليكن هذا المساء، هدنة حيث نتوقف عن الشجار.

بدأت "ماجالي" عملها ودت أن تتفوه بكلمة، وأطعمته حبات العنب واحدة واحدة. تناولها "جاك" طائعاً ووجهه يعكس هدوءاً لم تره فيه من قبل. لكن فجأة، أمسك يدها وقال:

– أنت لم تقبليني مرة واحدة من بعد الحادثة. يا جميلتي العزيزة، هذا صحيح أنني لم أطلب منك ذلك. لكن هذا المساء.. أرجوك قبليني مرة واحدة إني أحتاج إلى شفتيك.

بدا وكأن "ماجالي" قد سقطت في بئر. وأن يدي "جاك" هما اللتان أسقطتاها. شعرت أنها لن تحتمل ذلك وستصرخ ولكن لم تواتها الشجاعة لتقاوم.

لمست شفتاها شفتي "جاك". هبت لاهثة وساقاها ترتعشان.

ناداها:– "إيزابيل"؟

كان صوت "جاك" متسائلاً وبه حيرة. أغرق الخجل "ماجالي". لقد تعرف عليها!... أسرعت نحو الباب وهي تحيط خديها الملتهبين بيديها.

لم ينادها مرة أخرى...

في اليوم التالي قضت "ماجالي" فترة الصباح في قلق.

كانت تنتظر في فزع لحظة الذهاب إلى قصر "بيوميراك".

ما العذر الذي تستطيع أن تسوقه حتى لا تذهب؟ كانت متأكدة أن "جاك" قد تعرف عليها عندما قبلها لكن ما كان يعنيها هو أنها تركته يقبلها مستسلمة...

بعد الغداء، صففت شعرها، راجعت الحسابات مع "ماريت" وأزالت بقعة عن ثوب "بيبي". لكن يجب أن تقرر، نحو الساعة الثالثة ذهبت إلى قصر "بيوميراك" بخطى بطيئة وقلبها مثقل بالمخاوف.

عندما كانت تصعد السلم المؤدي إلى حجرة "جاك" قابلت السيدة "بيوميراك" ولاحظت أن نظرتها فاحصة أكثر من أي وقت، وأقل هدوءاً ومودة...

وقفت على درج السلم ويدها على الدرابزين، مثبتة أمام هذا الانطباع الغريب.

جاءت السيدة "بيوميراك" نحوها وسألتها:

– ماذا بك يا "ماجالي" تبدين متألمة؟ لا يجب أن تأتي إلى هنا إذا كنت متعبة. مساء أمس كنت تبدين مرهقة!

ارتعشت "ماجالي" عند سماعها هذه الكلمات. تصورت أن محدثتها تقرأ في عينيها كل شيء... عندما وضعت يدها عليها ارتعشت "ماجالي" بحق. نظرت إليها السيدة "بيوميراك" بقلق زائد.

قالت:

– اسمعيني يا طفلتي: إذا كان الأمر شاقاً بالنسبة لك أن تقومي بهذا الدور مع "جاك" فلا يجب أن تستمري...

كانت "ماجالي" غير قادرة على أن تنبس بكلمة واحدة. كانت على وشك أن تنفجر في البكاء وأن تلجأ دون خجل إلى كتف أم "جاك" لتبكي من قلبها.

استطردت السيدة "بيوميراك":

– أدرك جيداً أن هذا اختبار شاق جداً بالنسبة لك. أخشى أن أكون قد استسلمت لأنانية الأم عندما وافقت على أن تقومي بهذا الدور بفدائية. وإني لأسأل نفسي عما إذا كان الوقت قد حان لكي نقول لـ"جاك" الحقيقة ونوقف هذه التمثيلية الهزلية.

شعرت "ماجالي" بيأس شديد يعتريها وبقيت محتارة. إن ما حاولت إنكاره يتأكد لها الآن.

إن فكرة عدم مجيئها بعد ذلك تسبب لها ألماً غير محتمل.

سألت نفسها: لماذا تحول لقاء "جاك" إلى حادث بالغ الأهمية بالنسبة لها؟ ولماذا تحب لقاءه رغم أن هناك أكثر من سبب يدفعها لكراهية "جاك" نفسه؟

أجابت "ماجالي":

– أؤكد لك أن هذا ليس شاقاً بالنسبة لي، وإذا كان شفاء "جاك" يتوقف على الدور الذي أقوم به فإني مستعدة لتحمل أي شيء!

إن الهدف يعد عذراً كافياً.

قالت السيدة "بيوميراك" بحماس:

– شكراً.

رأت "ماجالي" كم أراحت إجابتها السيدة "بيوميراك".

كانت السيدة المسكينة قلقة جداً أن تعرب "ماجالي" عن رغبتها في التوقف عن المجيء. مالت وطبعت قبلة رقيقة على خد "ماجالي".

– هيا، بسرعة يا عزيزتي الصغيرة. إني متأكدة أن رفقتك ستؤثر تأثيراً حسناً في "جاك".

تابعت طريقها بينما أكملت "ماجالي" صعودها درجات السلم التي تقودها إلى ما تخشاه وترغبه في ذات الوقت.

إنها خجول بدرجة كبيرة. إنها تخون ثقة السيدة "بيوميراك" على الرغم

من طيبة قلبها. ماذا ستظن بها إذا عرفت أن "ماجالي" تركت نفسها ليقبلها خطيب أختها بسهولة لا تجرؤ عليها حتى "إيزابيل"؟

كان باب الغرفة مفتوحاً. عند دخولها قالت "ماجالي" بصوت واهن:

– هذه أنا.

التفت وجه "جاك" نحوها ولم يجب بشيء. بعد برهة قصيرة من الصمت بدت كأنها دهر بالنسبة لـ"ماجالي" لم تستطع أن تتمالك نفسها. كادت تصرخ:

– "نعم أنا "ماجالي" وأعرف ماذا تظن. أعرف ما فكرت به. ولم أعد أحتمل ذلك.."

ولكنه قال أخيراً بهدوء:

– صباح الخير يا "إيزابيل".

أجابته بتحية الصباح بنفس الهدوء. شعرت بأنها قد استيقظت من حلم! هل كان ذلك كابوساً أم حلماً نسجته وحدتها.

بناءً على طلب "جاك" أخذت كتاب شعر وأخذت تقرأ دون أن تحاول تغيير صوتها.

استمع "جاك" دون أن ينطق بكلمة واحدة وبقي وجهه – بدون أي تعبير – ملتفتاً إلى النافذة.

وفجأة مزقت صرخة مفزعة هذا الهدوء. وتعالت النداءات في الخارج. تركت "ماجالي" كتابها ليسقط على الأرض وأسرعت نحو النافذة. رأت الخدم يجرون، نادت على "فيلامون" الذي كان يخلع مريلة العمل.

– ماذا يحدث يا "فيلامون"؟

رفع إليها "فيلامون" وجهه الذي بدا عليه شدة التأثر.

– إنه السيد "باسكال"، إنه يغرق.

نطق تلك الكلمات وجرى بخطى ثقيلة.

التفتت "ماجالي" بسرعة نحو "جاك" لترى إذا كان قد سمع. كان واقفاً يستند إلى إحدى ذراعي المقعد. ويده الأخرى تبحث عن عصاه.

قال لها آمراً:

– ساعديني. سأذهب إليه.

رأت "ماجالي" على الفور أنه من الصعب إنقاذه. أخذت يد "جاك" وجعلته يستند إلى كتفها. جنباً إلى جنب نزلا السلم اتكأ عليها بشدة حتى إنها شعرت بأصابعه على كتفها. ثم اتجها بسرعة إلى النهر.

رأت "ماجالي" عدداً من الناس يجرون ويتحركون في فوضى. "بيبي" في ملابس السباحة يتساقط منها الماء وتبكي دون أن يعيرها أحد أي اهتمام، والسيدة "بيوميراك" شاحبة كأنها ميتة تعطي أوامر لا يسمعها أحد، عندما رأت ابنها و"ماجالي" نظرت إليهما في فزع وقالت بصوت مرتعش مشيرة إلى النهر.

– لم يعثر عليه أحد.

كان هناك أحد في الماء بالفعل يغوص عدة مرات. لكنه لم يكن ماهراً في السباحة فسرعان ما كان يعود إلى سطح الماء ليتنفس ثم يختفي من جديد.

ترك "جاك" كتف "ماجالي" وبدأ يخلع سترته.

قالت "ماجالي" كأنها ترجوه:

– سأذهب أنا.

أجابها:

– اذهبي إذا أردت ولكنني سأذهب أيضاً.

كان يستكمل خلع ما بقي من ملابسه. خلعت "ماجالي" فستانها وحذاءها بسرعة. أمسكت يد "جاك" ودخلا الماء. وجهت "ماجالي" "جاك" إلى المكان حيث يغوص ذلك الشخص الذي يحاول انتشال "باسكال". عندما وصلا إلى الماء العميق، تركها "جاك" وغاص. فعلت "ماجالي" نفس الشيء بتلقائية.

وجدت نفسها على الفور وسط حشائش عالية رخوة. شعرت بـ"جاك" الذي يسبح بالقرب منها سألت نفسها عن شعوره في هذا الظلام.

اضطرت إلى أن تصعد إلى السطح لتتنفس وصاحت لتطمئن السيدة "بيوميراك" التي كانت تحرك شفتيها كأنها تصلي.

– لا تخشي شيئاً إني أراقبه.

لم تستطع أن تمنع نفسها من قول ذلك. غاصت من جديد وفي البداية لم تر "جاك". جاهدت حتى تسيطر على خوفها وتحتفظ بهدوئها الذي

تحتاج إليه أطول وقت ممكن بدون أن تصعد للسطح. فجأة، حركت المياه جهده الذي يبذله ليخلص "باسكال" من الحشائش. وبهذه الطريقة اكتشفت مكانه. اقتربت منه ومعاً استطاعا انتزاع الطفل من الحشائش التي التفت حوله كأنها كفن أخضر. إنها الصورة التي ارتسمت في خيال "ماجالي". وعندما عادا إلى الشاطئ كانت متأكدة أن الطفل لم يعد حياً.

أسرعت السيدة "بيوميراك" نحوهما وأخذت تبكي ممسكة وجه الطفل بين يديها. ولكن أبعدها "جاك" بحزم، وبعد أن مدد "باسكال" على الأرض بدأ يطبق عليه حركات التنفس التقليدية.

وبعد لحظة، طلب المساعدة وكانت "ماجالي" هي من أخذت مكانه. بدأ وجه "باسكال" يتلون قليلاً عندما جاء الطبيب. أشار إلى "ماجالي" بأن تدعه يقوم بهذا العمل. وبعد قليل. نهض وقال:

– خذوه ودعوه ينام. سآتي خلفكم أما أنت يا "ماجالي" فعودي إلى البيت لقد تعبت.

اتجهت السيدة "بيوميراك" نحو الفتاة وأخذتها بين ذراعيها وقبلتها.

ولكن دون أن تتكلم، أشارت "ماجالي" إلى "جاك" الذي يقف خلفها. كان يرتعش في ملابسه التي لبسها دون أن تجف ورفض مساعدة "فيلامون". كانت شفتاه زرقاوين. يبدو عليه التعب قالت السيدة "بيوميراك" في قلق:

– "جاك"، لماذا لم تعد إلى البيت؟ لقد تم إنقاذ "باسكال".

بالفعل تقدم الطبيب نحو "جاك" وقاس نبضه وقال:

– عد على الفور إلى البيت. واشرب شراباً دافئاً. سآتي لأراك بعد أن أنتهي من هذا الصغير المجنون "باسكال".

أضاف وهو يضغط بشدة على يد "جاك".

– لن أهنئك لأني أعرف أن ما فعلت – بالنسبة لك – يعد أمراً طبيعياً.

اكتفى "جاك" بأن دمدم متخلصاً من قبضة الطبيب:

– إني بخير.

استدار ورحل مستنداً إلى "فيلامون" بطأ الأرض بعصاه... إنه يثير الشفقة. هذا الشاب عريض المنكبين الذي لا يتفق جسده مع عاهته.

الفصل السادس

عندما عادت "ماجالي" إلى قصر "بيوميراك" في اليوم التالي لهذا اليوم المأساوي وجدت حركة تنم عن أن "باسكال" ليس على ما يرام بعد ما حدث له. وكان "فيلامون" هو من وافاها بالأخبار.

– السيد "جاك" ليس على ما يرام. الجرح الذي كان بدأ أن يندمل في قدمه اليسرى قد فتح من جديد، وهو مصاب الآن بالحمى وجاء الدكتور ليراه منذ الصباح الباكر وقد أعطاه بـ... بنـ...

أكملت "ماجالي":

– بنسلين.

– هذا هو يا آنسة "ماجالي". وسيدتي تجلس إلى جواره.

ترددت "ماجالي":

– إذا كان الأمر كذلك فيجب أن أعود إلى البيت وساتصل لأعرف أخباره صباح غد.

ولكن أمسك "فيلامون" ذراعها.

– من فضلك يا آنستي ابقي بجانب السيد "جاك". فإن ذلك سيتيح الفرصة حتى تستريح سيدتي قليلاً، إنها لا ترضى أن تترك مكانها لأحد أبداً.

– في هذه الحال يا عزيزي "فيلامون"...

– كلا، إنها ستترك مكانها لك ستستطيع أن تذهب لتنام.

لم تعرف "ماجالي" أي قرار تأخذ. خشيت أن تبدو متطفلة إذا طاوعت فكرة "فيلامون" ومن ناحية أخرى دفعتها رغبتها في رؤية "جاك" أن تقتنع بأن السيدة "بيوميراك" في حاجة إليها فعلاً لتأخذ مكانها في رعاية "جاك".

أخذت قراراً سريعاً، صعدت درجات السلم الذي يؤدي إلى الطابق الأول. طرقت الباب برفق أجابتها السيدة "بيوميراك" ودعتها للدخول.

كان "جاك" مختفياً خلف أمه، ولكن عندما التفتت نحو "ماجالي". أصيبت تلك الأخيرة بالفزع. كان وجه "جاك" أحمر من شدة الحمى يتأوه

من الألم. كادت الدموع تنفلت من "ماجالي" عندما رأته في هذه الحال المثيرة للشفقة.

همست السيدة "بيوميراك":

– لقد مر بليلة عصيبة. يقول الدكتور إن حالته ليست خطيرة وإن تلوث الجرح سيزول بفعل البنسلين لكني قلقة يا "ماجالي".

كان وجه السيدة "بيوميراك" مرهقاً حقاً: هالتان سوداوان تحيطان عينيها. تقدمت "ماجالي" خطوة وقالت:

– أنت منهكة يا سيدتي اذهبي لتستريحي قليلاً. ليس عليك إلا أن تشرحي لي ما يجب أن أفعله.

قالت السيدة "بيوميراك" بابتسامة واهنة:

– شكراً. إني أقبل مساعدتك يا طفلتي العزيزة طواعية. ليس عليك سوى أن تبللي من وقت لآخر شفتيه وخديه بهذه القماشة وهذا الماء البارد. ساذهب لأرتاح قليلاً وساعود.

– لا تقلقي يا سيدتي من شيء. حاولي أن تنامي. أعدك بأن أوقظك بعد بضع ساعات.

طبعت السيدة "بيوميراك" قبلة رقيقة على خد "ماجالي".

– شكراً يا صغيرتي الطيبة.

توجهت إلى الباب بخطى متعبة.

تابعتها "ماجالي" بارتياح مثير للتعجب. قالت في نفسها: "ماذا ستظن السيدة "بيوميراك" إذا كانت قد استطاعت قراءة ما بعينيها؟ وإلى أي درجة أشعر بالسعادة لأنه مريض وأنا وحدي أستطيع أن أعتني به دون أن أسمع سخريته ودون أن أخشى أن يكتشف الخدعة!

في أي طريق أمشي؟ أنا التي كنت أخشى الكذب لست الآن سوى كذبة حية. يقدمون لي شكراً لا أستحقه، يعتقدون أنني زاهدة وأتمتع بالفضيلة وأنا لا أحلم في الحقيقة سوى بأن آخذ خطيب فتاة أخرى. ماذا بي أفضل من "إيزابيل"؟ إني برهان على النفاق، ولا أحاول أن أفر ممن لا يجب أن أحبه"...

وهي تفكر مرت على جبين "جاك" بيدها المرتعشة ومالت نحوه لتتأمل

وجهه الذي لن يكون لها أبداً والذي ستستمر في حبه أكثر فأكثر دون أن تعرف السبب.

فجأة تاوه "جاك" بشدة. أخذت "ماجالي" تكلمه وهي تبلل شفتيه وخديه. شيئاً فشيئاً هدأ المريض تحت تأثير الماء ويدها الرقيقة.

– لا تخف يا عزيزي أنا بالقرب منك. ستنام الآن كالطفل الهادئ. لن تكون لي أبداً ولن تعرف أبداً ماذا تكون بالنسبة لي أنا التي لا تملك شيئاً... لم تعرف أبداً مدى العاطفة التي أكنها لك. كل ما أستطيع أن اقدمه لك من حنان. نم يا حبيبي، أحبك...

توقفت فجأة. بدا كأن كلمتها الأخيرة لم تكن همساً بل كانت صرخة دوت في الحجرة كلها وأن الأبواب ستفتح لتظهر منها وجوه ساخرة. أو غير موافقة أو خائبة الظن.

تركت قطعة القماش المبللة لتسقط وأمسكت جبينها بيدها.

"إني أشفق على نفسي! إني ابكي على شيء ليس لي، ولم افقده. إذن. ثم إن لدي عزائي:

الرسم. الكثيرون لا يمتلكون هذه الموهبة. ستصاب جدتي بخيبة الأمل إذا رأتني على هذا النحو.

تصورت جدتها تقول لها:

– "لقد اصبتني بخيبة أمل كبيرة يا صغيرتي المسكينة. ماذا يجري في عروقك بدلاً من الدم"؟

كانت "ماجالي" متأكدة من رد فعل جدتها.

*****

بعد ثلاثة أيام، زال التلوث واندمل الجرح تماماً مما أسعد الدكتور. لقد شُفي "جاك" بسرعة.

راحت "ماجالي" لتستأنف دورها مع "جاك". ومضى اليوم الأول بدون صدام ولكن في اليوم التالي عندما كانت تقرأ عبارة في كتاب "مارلو" قاطعها:

– أرى أنك تحسنت كثيراً من وقت ليس بقصير يا "إيزابيل". لا تجيبي

بشيء. هل أصبحت متواضعة لهذا الحد؟

تماسكت "ماجالي" وقالت مقلدة صوت أختها:

– من المحتمل أن أكون قد تحسنت ولكن ما تلاحظه يصيبني بالدهشة.

– هل لي أن أعرف لماذا؟

– لأن ليس من عادتك أن تقدم مثل هذه المجاملات؛ لأن اهتمامك بما طرأ علي من تحسن يدهشني.

قال "جاك" وقد بدا أنه يجد سعادة ماكرة في هذا الحديث:

– لا أفهمك جيداً. لماذا لا أهتم بما لديك؟ أنت خطيبتي على الرغم من أني أشك في ذلك في بعض اللحظات.

سألته "ماجالي" متوجسة:

– ماذا تقصد:

قال:

– أنت لم تعودي تحبينني يا "إيزابيل".

– بلى! بلى!

إنها لا تحتمل أن ترى من تحب يتألم دون أن تعرف ماذا تفعل.

هدأ صوت "جاك":

– حقاً... إذن قبليني يا "إيزابيل".

اقتربت "ماجالي" مرتعشة من "جاك" وطبعت على خده قبلة مبللة بدموعها. لكنه أمسك ذراعها.

– أنت تبكين؟ لماذا؟ لماذا يا "إيزابيل"؟ اقتربي أريد أن أعرف إذا كنت تبكين.

قال دهشاً:

– نعم إنك تبكين.

أبقى "ماجالي" بالقرب منه واتكأ على المقعد ونهض.

أحاط "ماجالي" بذراعيه القويتين.

وقبل شفتيها بقوة... لم تستطع "ماجالي" أن تقاومه. وجدت نفس الشعور الذي انتابها في ذلك المساء الذي فرت فيه منه يعاودها من جديد. دون أن تعرف ماذا تفعل عقدت ذراعيها حول رقبته واستجابت لقبلاته.

صوت سعال جعلها تلتفت إلى الباب. كانت "إيزابيل" واقفة تراقبهما وهما متعانقان وعلى شفتيها ابتسامة متوحشة...

بقيت "ماجالي" على وضعها بدون حركة وذراعاها حول رقبة "جاك" تنظر إلى أختها في فزع. بينما التفت "جاك" نحو الباب محاولاً أن يعرف شخصية القادم.

سأل دافعاً "ماجالي" برفق متحسساً المقعد الذي كان يجلس فيه.

– من؟

نظرت "إيزابيل" إلى أختها ووجهها المتوسل.

وفتحت فمها، عندئذ شعرت "ماجالي" أنها ستفقد وعيها.

وبصوتها الفاتر قالت "إيزابيل":

– أنا "ماجالي"... أرجوك المعذرة.

ورمقت أختها بنظرة احتقار وسخرية.

تنهدت "ماجالي" في ارتياح ونظرت إلى "إيزابيل" بعرفان، لم تقابله أختها سوى بقسوة بدت طبيعية بالنسبة لـ"ماجالي".

قال "جاك":

– أنت لا تزوريننى كثيراً يا أخت زوجتي.

أجابت "إيزابيل" متظاهرة بالخجل.

– أخشى أن أزعجكما.

فهقه "جاك".

– أرى أنك لم تتغيري يا طفلتي المسكينة، دائماً متواضعة. أنت لا تشبهين أختك أبداً. على الرغم من أنها قد تغيرت. إذا استمرت على ذلك فستتفوق عليك في الفضيلة وفعل الخير.

قالت "إيزابيل" ساخرة:

– لكنني عندما جئت وجدت نقيض ذلك.

قال "جاك":

– أعرف أنك لست ذكية تماماً. فيم الخطأ أن أقبل خطيبتي؟

قالت "إيزابيل":

– لا شيء بالتأكيد.

ارتعشت "ماجالي". إن أختها تلعب معها لعبة القط والفأر. ربما تنوي أن تكشف كل شيء في نهاية هذا الحوار الهزلي؟ كم سيضحكون منها في النهاية!

قال "جاك":

– أعتقد أنها تكتسب خصالاً جديدة، بما أنها قبلت أن تتزوجني.

– هل أعدت عليها طلب الزواج؟

شحبت "ماجالي" من جديد. لم تحاول أختها أن تخفي صوتها الطبيعي. سيعرفها "جاك". بالفعل. قال في دهشة:

– أجدك تغيرت حقاً يا "ماجالي".

استطرد ضاحكاً.

حقاً لقد تبادلتما شخصيتيكما.

ساد صمت ثقيل. كان "جاك" يبتسم و"إيزابيل" تنظر إلى أختها في كراهية بينما لم تستطع "ماجالي" أن تخفض عينيها كأنها تنتظر وقوع الخطر.

قالت "إيزابيل" أخيرا دون أن تكف عن النظر إلى أختها:

– هل تجد ذلك؟

لم تتمن "ماجالي" إلا شيئاً واحداً هو أن يتدخل شخص ما أو أن تنتهي هذه التمثيلية بأي طريقة وإلا فستنهض وتصرخ:

– "نعم أنا "ماجالي" ولقد مثلت هذه التمثيلية والآن لقد فات الأوان، إني أحبك يا "جاك"، أحبك"...

وكان "جاك" قد سمع صدى تلك الكلمات التي رددتها "ماجالي" في نفسها. التفت فجأة نحو "ماجالي" مفكراً قال برقة:

– "إيزابيل" هل تريدين أن تتركيني أنا و"ماجالي" بمفردنا؟

أريد أن أتحدث مع أختك من أجل مهمة أريد أن أعهد بها إليها.

استطرد في رفق مبتسماً ابتسامة ساحرة تجاه "ماجالي".

– شيء يخصك يا عزيزتي، لكنني لا أريد أن أحدثك عنه.. إنها مفاجأة.

نهضت "ماجالي" دون أن تقوى على الإجابة وتوجهت نحو الباب.

www.rewity.com

شعرت بأنها ثقيلة ومتعبة كأنها سيدة عجوز لا تقوى ساقاها على حملها. لتصل إلى الباب كان يجب عليها أن تمر بالقرب من أختها فشعرت كأنها تريد أن تصفعها. لكن اكتفت "إيزابيل" بأن تمتمت عندما أصبحت "ماجالي" بالقرب منها.

– أيتها الحمقاء المسكينة:

كانت كلماتها مفعمة بالكراهية والاحتقار.

قال "جاك" موجهاً كلامه لـ"إيزابيل" ضاحكاً:

– كما ترين يا "ماجالي" كم تغيرت أختك. طلبت منها أن تتركنا لحظات ووافقت دون مناقشة... على الرغم من حبها لي.

تركت "ماجالي" الغرفة دون أن تلتفت وراءها.

أرادت أن تعود إلى المنزل ولكن لم تجرؤ. جلست لحظة على درجات السلم الحجري ونظرت إلى طيور الطاووس التي تلهو في الحديقة.

جاء صوت ليقطع تفكيرها:

– تستطيعين أن تصعدي. إنه ينتظرك.

نظرت "ماجالي" إلى أختها التي كانت تقف إلى جوارها وقد انهزم كبرياؤها المعهود.

سألتها "ماجالي":

– ألم تقولي شيئاً؟

– من الواضح أنني لم أقل شيئاً. كنت سأبدو غبية إذا صرحت له بأنني من طلبت منك أن تأخذي مكاني في هذا العمل الشاق.

الفصل السابع

دخلت السيدة "بيوميراك" حيث كانت "ماجالي" تقرأ بصوت غير سعيد أشعاراً على سمع "جاك" الذي لم يبدُ أنه يسمعها. وتظاهرت بأنها لا تلاحظ تورد وجه الفتاة عندما رأتها تدخل.

– سيدي الكاهن هنا يا "جاك" ويريد أن يراك.

دمدم "جاك" بكلمات تشبه الموافقة. اختفت أمه لتدع الكاهن العجوز يدخل وهو يمسح جبهته بمنديل مرسوم عليه مربعات باللون البنفسجي.

أشرق وجهه عندما رأى "ماجالي". بينما أغلقت السيدة "بيوميراك" الباب قال لها بابتسامة طيبة:

– أنا سعيد لرؤيتك يا طفلتي. إني متأكد أن مرافقتك "جاك" لها عليه عظيم الأثر.

أضاف متجهاً نحو "جاك":

– كان لا يجب أن أقدم هذه المجاملة أمام "ماجالي" المعروفة بشدة التواضع، لكني أجد أنها تقرأ بطريقة ممتازة..

وضعت "ماجالي" يدها على قلبها ونظرت إلى "جاك" الذي بقي بدون رد فعل. ولكن استطرد الكاهن العجوز:

– أنا مقتنع أن القراءة لها أثر إيجابي على صحته وإننا سنراه قريباً يتماثل إلى الشفاء.

بقي "جاك" صامتاً. نظر إليه الكاهن في قلق ثم رمق "ماجالي" بنظرة حائرة. أومأ برأسه ليشير إلى عدم قدرته على إيجاد ما يجب أن يقول لهذا الصبي العنيد.

قال يائساً من القضية.

– يا لها من حرارة.!

وأخيراً قال "جاك" بصوت هادئ:

– هل سيضايقك يا "ماجالي" أن تذهبي لتطلبي الشاي لسيدي الكاهن ولي؟

اختنقت صيحة "ماجالي" بين اعتراضات الكاهن الذي لم يرغب في أن

يزعج أحداً.

كأنها منومة مغناطيسياً توجهت نحو الباب ونزلت درجات السلم كأنها تعيش كابوساً.

لقد خمن كل شيء إذن. منذ متى؟.. كان يسخر من اضطرابها عندما يقبلها؟ كان يلهو وينتقم لعجزه وهو يجذب الخيوط التي تحرك الآخرين وفقاً لخطة معروفة له. من يعرف ربما تكون كل هذه التمثيلية من تاليفه هو و"إيزابيل" ليسخرا منها؟

توقفت "ماجالي" عند آخر درجات السلم.

قالت محدثة نفسها بصوت عالٍ:

– هذا مستحيل.

تملكتها رغبة قوية لا تعرف سببها في أن تصعد السلم من جديد لترى إذا كان "جاك" قد ناداها فعلا باسمها. ولكن عقلها أكد لها أن من غير المعقول أنها قد أخطأت وأن "جاك" يعرف كل شيء..

عندما عادت "ماجالي" أخبرها الكاهن متأثراً:

– لقد قرر "جاك" إجراء العملية.

عقدت "ماجالي" يديها وقد تفوق الخوف على كل مشاعرها. هذه العملية الخطيرة ستسبب لها قلقاً جديداً.

سألها "جاك"..

– ما رأيك في ذلك يا "ماجالي"؟

استطاعت أن تجيب بصوت مرتعش:

– أعتقد أنك على صواب.

ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتي "جاك".

قال:

– قدمي لنا الشاي.

فعلت "ماجالي" مفكرة في شيء آخر.

أخيراً نهض الكاهن ليرحل وقادته "ماجالي" حتى الباب. شاهدت السيدة "بيوميراك" بالخارج وقد بدا عليها القلق.

في الحجرة، تواجد بطلا التمثيلية المزعومة وجهاً إلى وجه. في البداية

بقيا صامتين كل منهما ينتظر الآخر لكي يبدأ بالكلام.

استسلمت "ماجالي" في النهاية.

قالت بصوت مرتعش:

– أريد أن أطرح عليك سؤالاً أو سؤالين يا "جاك".

أجابها:

– أرجوك. كل الأسئلة التي ترغبين.

– متى عرفت أنني لست "إيزابيل"؟

حك "جاك" ذقنه مفكراً:

– أعتقد أن الشكوك ساورتني منذ اليوم الثاني، حاولت إثارتك حتى تكشفي نفسك لكني أعترف أنك ممثلة جيدة. وتأكدت شكوكي في ذلك المساء الذي شب فيه حريق الألعاب النارية. وتأكدت تماماً يوم تعرض "باسكال" للغرق...

لم يذكر اسم "إيزابيل" مرة واحدة وفجأة ظهرت كأنها بفعل معجزة! لقد أفقد الخوف صواب أمي. لقد نسيت أن تشترك في التمثيلية المعتادة.

شاب صوت "جاك" مرارة واضحة.

لقد اعتقدت أملك أنها مسؤولة عن تصرفي.

قهقه "جاك":

– إني أسأل نفسي لماذا قبلت الاشتراك في هذه التمثيلية؟

أجابت "ماجالي" بشجاعة:

– في البداية فعلت لأسدي خدمة. "إيزابيل" حساسة جداً وعصبية جداً حتى تؤدي دورها في العناية بك. لقد أربكتها الحادثة التي تعرضت لها.

قاطعها "جاك":

– دعيني أضحك. أربكتها الحادثة التي تعرضت لها... "إيزابيل" ترتبك من أي شيء وهذا من الأسباب التي جعلتني أعجب بها. أنا وهي من نفس الخامة. الخشب أو الحجر. قاسيان، خلقنا لنتوافق. هي تعرف ذلك جيداً. احتفظي بملاطفتك. ستسخر منك أختك لو سمعتها! لن تغضب منك إذا رسمتها كما هي... لقد عرفت أنها لا تريد أن تعتني بي لأنها ستتضايق لو اعتنت بمريض. إنها تفضل أن تنتظر حتى تذهب

www.rewity.com

ضائقتي. لقد كانت محقة.

لم تذهب ضائقتي فقط، لكني وجدت أيضاً تسلية لطيفة! عندما أفكر في أنك قد بكيت في الليلة الماضية.

لقد وقعت في غرامي؟

اختنقت "ماجالي" ولكن انتابها شعور بالكبرياء فامسكت دموعها. إن الحب غير المفهوم الذي تشعر به تجاه "چاك" كان قوياً وعميقاً لدرجة أنه يتحكم فيها. أجابت بصوت مختنق حاولت أن يبدو حازماً:

– نعم يا "چاك" لقد وقعت في غرامك، وبدون ذلك لما استمررت في المضي فيما فعلت، تستطيع أن تسخر مني وتجعل مني حديثاً مسلياً تشاركك فيه "إيزابيل" أو أي شخص آخر. إني أحبك ولا أستطيع شيئاً حيال ذلك.

ساد الغرفة صمت عميق غطى "چاك" وجهه بقناع لا يظهر أي تعبير. نهضت "ماجالي" بدون صوت ونظرت مرة أخرى إلى الرجل الذي تحب. رفعت يدها بغير إرادتها كأنها تمسح على رأسه من بعيد. ثم خرجت بخطى بطيئة وفي نفسها أمل بأن يناديها...

عندما وصلت إلى "بلروك" لم تر في البداية سوى "إيزابيل" التي كانت تقرأ في كسل ممددة على الأريكة. أرادت أن تمر دون أن تكلمها ولكن نادتها أختها.

قالت "إيزابيل":

– لقد فكرت. أريد أن أعود إلى مكاني بالقرب من "چاك".

على أية حال لم يعد هناك حاجة لكي يمتد عذابك مع هذا الموقف الصعب. تخيلي أن يعرف "چاك" يوماً ما أنك لست أنا! ماذا سيظن في هذا التصرف؟ ومن ناحية أخرى، أعتقد أنه سيكون قاسياً من جانبي أن أدعك تقومين بدوري بالقرب من شاب وقعت في حبه بدون داع.

تمالك "ماجالي" مشاعر متناقضة. من ناحية، كانت مرتاحة لأن "إيزابيل" لا تعرف شيئاً عن انكشاف خدعتهم. ومن ناحية أخرى كانت تشعر بحزن شديد لفكرة أنها لن ترى "چاك".

حدثت نفسها: "ماذا كان يجب علي أن أنتظر"؟ أجابت فقط:

– كما تشائين.

أجابت "إيزابيل":

– تماماً ولن نتحدث في ذلك الأمر مرة أخرى. سيكون سراً بيننا. سراً صغيراً بدون أهمية.

أضافت ضاحكة:

– على أية حال إن "چاك" صبي ولا يستحق أن تتعلقي به. إننا متوافقان أنا وهو!

ابتعدت "ماجالي" دون أن تجيب.

*****

دقت "إيزابيل" باب "چاك" ودخلت.

بادرها:

– لقد جئت مبكرة عن المعتاد.

أجابت:

– لا أستطيع أن أتأخر عن رؤيتك.

اقتربت منه وأحاطت رقبته بذراعيها. كان يقف في موضعه المعتاد بالقرب من النافذة.

– حبيبي، ما حالك؟

قالت ذلك وهي تلمس في رفق بشفتيها خد "چاك" الذي بادلها قبلتها، ولكنه دفعها على الفور دهشاً هو نفسه من رد فعله هذا.

شعرت "إيزابيل" بتملك الغضب منها واضطرت أن تسيطر على هذا الغضب حتى لا تتفوه بكل الشتائم التي طرأت إلى ذهنها في هذه اللحظة.

من ناحية فكر "چاك".

"إني أفزع من هذا العطر الذي أغرقت به نفسها وأفزع لأنني أراها تلعب دور المحبة الخاضعة الذي لا يتوافق معها. كل ذلك لأنها متأكدة من أنني لم أكشف الخدعة وبالتالي يجب أن تتظاهر بأنها رقيقة وفاتنة مثل "ماجالي"، وفجأة تبين أنه هو نفسه قد اعترف لنفسه بأن "ماجالي" كانت رقيقة

www.rewity.com

وصبوراً خلال الساعات التي كانت تقضيها معه.

وشعر بكراهيته تزداد تجاه "إيزابيل"، قال لها بصوت مهاجم:

– لماذا تتعطرين هكذا بحق السماء؟

احمر وجه "إيزابيل" من شدة الغضب. كان صعباً جداً حقاً أن تحتفظ بهدوئها: أجابت في حدة:

– أنت لم تشتك أبداً من العطر الذي اعتدت أن أضعه! ماذا حدث لك؟

قال في نفسه:

"أنا غير عادل. أشكو من ميلها للتصنع وعندما تعود إلى طبيعتها أشعر بالغيظ. إنني لم أنفعل أبداً بسببها على هذا النحو! ماذا بي إذن"؟

اقتربت منه "إيزابيل".

قالت في رفق:

– لن أستطيع أن أبقى أكثر من ذلك. إني مضطرة للعودة مبكراً.

سألها في حدة:

– لماذا؟

بقيت "إيزابيل" صامتة برهة. لم تتعود على أن تخضع لأسئلة "جاك" التي تخص جدولها اليومي كما لم تستطع أن تخبره بأن "جورج مونيه" كان قد قبل أن يرافقها بالسيارة إلى مدينة "بيريجو". أرادت أن تذهب بسرعة لتشتري قطعة الزمرد المتلألئة لتعلقها في سلسلتها الذهبية..

أجابت بأول شيء طرأ على خاطرها:

– لقد قررت "ماجالي" فجأة أن ترحل وبدت عاقدة العزم على أن تفعل ذلك على الفور... لا أعرف إذا كانت جادة في هذا الشأن لكني أريد على أية حال أن أراها قبل أن ترحل.

شعر "جاك" ببرودة شديدة في جسده في ذات الوقت بات متيقناً من سبب انزعاجه.

قال في نفسه: "إنني أحب هذه الحمقاء".

*****

استطرد "جاك":

– أريد أن تقوديني إلى منزلكم... لاتحدث مع "ماجالي" بشأن مهمة عهدت بها إليها. إذا كانت راحلة أريدها أن تخبرني متى. إذا كان اليوم فلن يغير ذلك شيئاً في الأمر.

عضت "إيزابيل" شفتيها في غضب.

– تستطيع أن تتصل بها.

– لا أريد أن أكلمها وجهاً لوجه.

تشككت "إيزابيل" في الأمر، هل من الممكن أن يكون قد خمن كل شيء؟ إن كان قد قبل "ماجالي" لأنها "ماجالي" وليس على أنها "إيزابيل"! فهل من الممكن أن تكون قُبلتان من شفتين متماثلتين تماماً وفي نفس الوقت مختلفتين كاختلاف شراب نادر من نفس البلد... إن الشراب النادر في الحقيقة من صنعها هي... على أية حال، مازالت اللعبة قائمة...

قالت في دلال وهي تفكر بسرعة:

– أريد أن اقودك بالفعل.

ربما تنوي تلك الحمقاء الأخرى أن ترحل حقاً اليوم؟

على أية حال، إن قصة قطعة الزمرد هذه خطيرة، ومما يزيد الأمر خطورة أن يكون "جورج" هناك في انتظارها.

قررت أن تهاجم:

– فيم تأمل؟ أن تمنع "ماجالي" من الرحيل؟

آه! لقد فهمت أنا أيضاً، ربما تتصور أنها ستترك "جورج"؟

لم يجب "جاك"، ارتاحت "ماجالي" قليلاً. على الأقل إنه يجهل أن "ماجالي" قد فسخت خطوبتها مع "جورج".

قال "جاك" من بين أسنانه:

– ستفعل عندما ساحكي لها كيف كنت تتصرفين معه في نفس يوم خطوبتنا.

قالت "إيزابيل":

– لن تفعل، لسبب وجيه هذا ما قلته لها. تصور يا عزيزي، إنها سعيدة جداً لأنها ستصبح السيدة "جورج مونيه". إن أغلى أمنياتها أن تجلس في

صالون القصر الفاخر تتبادل الأحاديث التافهة مع زوجة الكولونيل أو زوجة الدكتور...

توقفت وهي ترى أن حديثها لم ينتج عنه الأثر الذي توقعته. بدا مشمئزاً ولكن شعرت "إيزابيل" بأنها هي من يثير في نفسه هذا الاشمئزاز.

قال في هدوء:

– لا أصدق شيئاً مما تقولين. لقد اضطررت أختك إلى أن تمثل هذه التمثيلية التي قادتها إلى نتيجة غير متوقعة لها.

اختنقت "إيزابيل" من شدة الغضب.

– هل تعتقد أنها لم تمثل؟ أعتقد أنها لم تكتف بتمثيل دورها ولكنها استفادت من هذا لتستميلك وتشوه صورتي!

بدا وكأن "جاك" لا يسمعها.

– هيا امضي في الطريق.

قالت "إيزابيل" في شر:

– اذهب وحدك.

قال "جاك" بنفس الشر:

– إذا لم ترافقيني أؤكد لك أنني سأتصرف على نحو يجعل الجميع في "بلروك" و"بيوميراك" ينفضون عنك وتضطرين للرحيل والعمل لكسب عيشك.

تبدل لون "إيزابيل" للأحمر ثم الأصفر ولكنها لم تجب بشيء.

قالت لنفسها في يأس: "إنه قادر على أن يفعل. إنه قاسٍ حتى إنه يستطيع ذلك آه! سأجد طريقة حتى أبعده عن "ماجالي"، لكنها ستدفع ثمن ذلك، ستدفع".

مضيا تحت الشمس الساطعة. زوج غريب ومثير للشفقة. "جاك" يسير ووجهه متجه إلى الأمام كأنه يحاول التنبؤ بعثرات الطريق وبجانبه "إيزابيل" وكراهية العالم تنعكس من عينيها اللتين تسيل منهما دموع الغضب الذي لم تستطع أن تحبسه.

وصلا "بلروك" الساعة الخامسة، أدركت "إيزابيل" على الفور أن هناك شيئا غير طبيعي يدور حول القصر الذي توقفت أمامه سيارة دكتور

"موريبه".

نادت "ماريت" التي خرجت وهي تلف حول رقبتها شالاً أسود.

نظرت إليها الخادمة العجوز بوجه مضطرب. مع "إيزابيل" لم تكن تضطر لتوخي الحذر.

قالت وقد اغرورقت عيناها الحمراوان بالدموع:

– ماتت سيدتي.

صعدت "إيزابيل" الدرجات القليلة يتبعها "جاك" الذي حاول إيجاد طريقه. دون أن تفعل شيئاً لتساعده.

رأت من خلال باب المكتبة، السيدة "بريمونتيه" ممددة على الأريكة بينما "ماجالي" جاثية على ركبتيها بجوارها تربت على يدها. كانت الاثنتان تبكيان.

فجأة رأت "ماجالي" "إيزابيل" و"جاك" فنهضت. تبدل وجهها بفعل الحزن، وعيناها متورمتان من البكاء.

سألت "ماجالي" بصوت حزين:

– هل تعرفين؟

أجابت "إيزابيل" في كراهية لأختها خاصة عندما رأت "جاك" يتقدم نحوها مادا يديه:

– نعم لقد عرفت تواً.

قال بصوت لم تعهده "إيزابيل" أبداً:

– "ماجالي"، أقدم لك التعازي...

لاحظت "إيزابيل" رد فعل أختها، لقد خفضت عينيها لتخفي اضطرابها.

قالت بصوت مرتعش ويدها تصافح يد "جاك" في رقة بالغة قبل أن تطويها كأنها عصفور مذعور:

– شكراً يا "جاك".

كان قصر "بريمونتيه" خلال الأيام التي تلت موت الجدة مسرحاً للحداد حيث تمثل عليه مشاهد الحزن الحقيقي والمتصنع. لم يتوقف الجيران والأصدقاء عن التوافد لتقديم العزاء، تستقبلهم السيدة "بريمونتيه" بمفردها

لأن زوجها كان يرفض أي صحبة أخرى سوى صحبة "بيبي" التي كان يحدثها طويلاً عن جدتها. "بيبي" مثل كل الأطفال في عمرها استقبلت فكرة الموت في هدوء. حتى إنها كانت تحسد هؤلاء الذين يصلون لله كما تتصوره كطفلة. كانت "ماجالي" قلقة بشأن تلك الأحاديث، ولكن كانت "بيبي" تقدم لها تقريراً عن تلك الأحاديث، لقد كانت سعيدة جداً أن تعرف عن جدتها قصصاً كثيرة لم تكن تعرفها، وأن ترى صوراً ترتدي فيها الجدة فساتين فاتحة اللون وقبعات بها ورد. اطمأنت "ماجالي" شيئاً فشيئاً وهي لا تزال دهشة لهذا التقارب المثير للفضول والمؤثر بين رجل ناضج وطفلة تجمعهما ذكرى إنسانة عزيزة عليهما...

كانت مراسم الدفن بسيطة جداً – كما أرادت الجدة – في مقابر الأسرة.

بعد بضعة أيام اجتمع جميع آل "بريمونتيه" في الصالون الكبير ليفتح المحامي "تانبل" الوصية.

لقد وافق على أن يأتي إلى "بلروك" لفتح الوصية نظراً لحالة السيدة "بريمونتيه" الصحية وذلك خلافاً لما جرت عليه العادة.

لقد عرف منذ وقت بعيد أن "أديلي دي بريمونتيه" قد قررت التبرع بأكبر جزء من ثروتها لجمعية حماية الحيوان. لكن استمع الجميع، – فيما عدا "ماجالي" – باهتمام للجزء الخاص به. والمثير للدهشة أن الوصية بدأت بذلك. أومأت السيدة "بريمونتيه" في رضا عندما عرفت أنها ستترك مجوهرات حماتها. باستثناء خاتم يعلوه حجر كريم رائع فقد آل إلى "إيزابيل". حصل السيد "بريمونتيه" على مجموعة الطوابع التي كانت تخص أمه ذات القيمة العالية. لا شيء يساوي فرحته بهذا. وحصلت "بيبي" على صندوق موسيقى كانت تتمناه، به قرد يرتدي ملابس حمراء بينما تدور على لحن موتزارت عروسة جميلة فوق رأسها شعر مستعار ووجهها صغير ورقيق.

قالت السيدة "بريمونتيه" إنها لن تدع هذه التحفة الفنية بين يدي طفلة مازالت صغيرة وغير واعية، لكنها توردت خجلاً عندما سمعت المحامي "تانبل" يشترط في الوصية أن يسلم الصندوق لـ"بيبي" نفسها وأن يكون ملكاً خالصاً لها. ابتسم السيد "بريمونتيه" عندما رأى تورد وجه زوجته.

انتهت فقرة التركات وتنحنح المحامي "تانبل" قبل أن يكمل. لم يذكر اسم "ماجالي" وبدا ذلك غريباً لما عرف عن حب الجدة لها. على الرغم من ذلك لم تبد متأثرة. بقيت خافضة عينيها كأنها طالبة خجلة ولا أحد يعرف فيما تفكر. نظر إليها "تانبل" واستأنف قراءته.

بالإضافة إلى التركات التي سبقت، إني أورث كامل ثروتي لحفيدتي "ماجالي" بشرط واحد هو ألا تنفصل أبداً وأن تعتني بكلبي وقطتي وببغائي.

تلا تلك الكلمات صمت ثقيل...

بدا كأن "ماجالي" غير واعية بالنظرات التي أحاطتها. اتجه المحامي "تانبل" إلى الأمام كأنه يهب لحماية الطائر من الصائد الذي يجهز عليه... قطع الصمت صوت غريب.

إن السيد "بريمونتيه" الذي يضحك. حتى قبل وفاة أمه نادراً ما كان يشاهد وهو يضحك، لكنه اليوم يضحك ملء فيه ضحكة كبيرة لم يعهدها أحد. نظرت إليه زوجته كأنه أصبح مجنوناً ثم وقفت متأرجحة وتقدمت بضع خطوات واضعة منديلها على فمها وانهارت على الأريكة. رفعت "ماجالي" رأسها في دهشة وأسرعت نحو والدتها، ولكن قطعت "إيزابيل" عليها الطريق بعينين يملؤهما الشر وصوت قاسٍ وقالت:

– تريدين إذن القضاء عليها؟

أمام نظرة "ماجالي" الدهشة، أدرك المحامي "تانبل" أنها لم تسمع الوصية. اقترب منها وقرأ عليها آخر جزء منها. بدت "ماجالي" غير مدركة لما يحدث. نظرت إلى المحامي "تانبل" كأنه هو وحده الذي يستطيع أن يعطيها مفتاح هذا اللغز.

سألت ببساطة:

– لماذا؟

لقد حاول المحامي "تانبل" من قبل أن يشرح للجدة أن مثل هذا الميراث سيجعل من "ماجالي" حملاً وسط ذئاب. ولكنه أصيب بدهشة أكبر عندما سمع "ماجالي" تقول في أسف.

– ماذا سأفعل بكل هذه الأموال؟

الفصل الثامن

خرجت "ماجالي" بصعوبة من هذا الشعور بعدم التصديق الذي غرقت فيه بعد إعلان ميراثها المفاجئ. نظرت في خجل حولها فصعقت من العداء الذي رأته على وجه أمها التي عادت إلى وعيها، والكراهية العميقة التي قرأتها في عيني "إيزابيل". فقط والدها كان يبتسم إليها في حنان وكانت هذه الابتسامة هي المواساة الوحيدة لها.

ابتسمت رداً على ابتسامته وتبعت المحامي "تانبل" الذي استأذن من السيدة "بريمونتيه". في الردهة صافحها المحامي في إصرار مما أدهشها. بدا أنه يريد أن يقول لها شيئاً ولكنه لا يعرف كيف. اكتفى بأن طلب منها أن تزوره في مكتبه لتسوية بعض تفاصيل الميراث. قال لها عبارة معقدة لم تفهم سوى آخرها.

– لا عليك... لا تدعي نفسك للقلق...

توقف كأنه قال الكثير.

لم تعرف "ماجالي" بماذا تجيب. قررت أن تذهب إلى حجرتها لتفكر في هذه الأحداث المتلاحقة المؤلمة التي جاء الميراث ليزيدها تعقيداً.

لم يفت على جلوسها في غرفتها عشر دقائق واضعة رأسها بين يديها محاولة ترتيب أفكارها حتى دخل شخص دون أن يطرق الباب.

كانت "إيزابيل". أغلقت الباب واستندت إليه بظهرها. تأملتها "ماجالي" في دهشة.

نظرت إليها "إيزابيل" كأنها جلاد لا يعرف من أين يبدأ الضرب. أخيراً قالت لها بابتسامة صفراء:

– هانت غنية. ماذا ستفعلين بكل هذه الأموال؟

أجابت "ماجالي" بإشارة تدل على جهلها بما ستفعل.

استطردت "إيزابيل". وهي تجلس على حرف السرير:

– هناك شيء أريد أن أعرفه: كيف أخذت ذلك؟

نظرت إليها "ماجالي" دون أن تفهم.

– كيف أخذت ذلك؟ ماذا تقصدين؟

– ماذا قصصت لجدتي حتى تقنعيها بأن تعطيك كل هذه التركة.

استدارت "ماجالي" وقالت في هدوء:

– أريد أن تخرجي من حجرتي يا "إيزابيل".

أخذت "إيزابيل" تضحك كأنها لا تستطيع أن تتوقف.

وأخيراً قالت:

– أنت غريبة جداً. ما هذا المظهر المتعاظم الذي تتخذينه الآن وقد أصبحت قوية بثروتك: بالك من منافقة... جدتي و"چاك" حاولت التأثير عليهما... لكن دعيني أقول لك إذا كنت نجحت مع جدتي فلن تتوصلي إلى ذلك مع "چاك".

لم تلتفت إليها "ماجالي"، ولكن رأت أختها في سعادة أن كتفيها ترتعشان.

– أود أن أخبرك أنك كنت تسلية جيدة بالنسبة له.

وقعت "ماجالي" في المصيدة والتفتت إلى "إيزابيل" لتطلعها على وجهها الذي كسته التعاسة والألم.

– ماذا أعرف عن ذلك؟ إني أعرف كل شيء. كل شيء أيتها المسكينة حتى إنه قال لي شيئاً غريباً عنه لدرجة الدهشة.

سألت "ماجالي" بالم:

– ماذا؟

وضعت وجهها بين يديها كأنها تريد أن تحمي نفسها مما ستقول وسيزيد ألمها.

لقد قال لي: "نحن مخطئان لأننا نضحك هكذا".

نعم. أرجو المعذرة كنت أضحك أنا أيضاً. كما قال "إنها تثير شفقتي هذه المسكينة "ماجالي".

– هذا كثير، هذا ليس صحيحاً... أنت تروين ذلك لأنك تريدين أن تجعليني أتألم. إنه لا يستطيع أن يقول ذلك؟

قالت "إيزابيل":

– لقد قال أيضاً "لوقت قصير ساغازلها، كم هي مثيرة للضحك!

أي فتاة أخرى غير "ماجالي" كانت سترفض أن تصدق هذا الكلام ولكن الحب لدى الأشخاص الحساسين أحياناً يضعف بصيرتهم، يجعلهم ضحية لأكثر الأكاذيب خطورة عندما تخص تلك الأكاذيب من يحبون من قريب

أو من بعيد.

من ناحية أخرى لقد رأت "ماجالي" سخرية "جاك" وكانت مستعدة لتصدق أن ميله للسخرية سيغلب على أي شعور آخر. انكفأت "ماجالي" إلى الأمام وأحاطت وجهها بكفيها حتى لا ترى "إيزابيل" دموعها.

قالت أختها:

– لا تجعلي من ذلك موقفاً دراماتياً. لديك لمواساتك كل هذه الأموال التي انتزعتها من جدتي بفعل المداهنة والنفاق. أمي التي لم تحصل على شيء لها سبب قوي لكي تشكو. ولكن ما يدهشني هي أنها سامحتك بهذه السهولة...

بعد تلك الكلمات، خرجت "إيزابيل" في صمت وتأخرت لحظة خلف الباب لكي تسمع صوت بكاء أختها الذي يسعدها.

بكت "ماجالي" كثيراً ولكن لم ترحها دموعها. فكرت في أمها التي لم تسامحها عما تعتبر أنه خيانة. ولكنها تألمت أكثر عندما تخيلت "جاك" وهو يضحك منها مع "إيزابيل"...

شعرت أنها وحيدة بدون عون بعد رحيل جدتها الوحيدة التي كانت تفضي إليها بما في قلبها. بدت لها الحياة فجأة مشواراً طويلاً صعباً. تملكها يأس كبير. لم يكن والدها بالنسبة لها سنداً قوياً. إنه لا يهتم سوى بالطوابع. كانت تعرف أنه سينظر إليها في حيرة ودهشة لو حدثته عما يؤلمها... فضلاً عن أنها لن تفعل.

إنها لا تريد ذلك. آه! لماذا وضعت جدتها هذا الحمل على عاتقها؟... بالتأكيد فعلت ذلك وهي مدركة تماماً السبب، أرادت أن تدفع "ماجالي" للهرب من المنزل ومن العائلة حتى لا تكون سوى فنانة تكرس نفسها لفنها. لكن أين هي السعادة في كل ذلك. السعادة التي لا تستطيع أن تحصل عليها سوى من الرجل الذي يسخر منها؟

دار كل شيء حولها. اعتقدت "ماجالي" أنها تشرف على الموت.

دلفت "بيبي" إلى حجرة "ماجالي". كان الحديث عن علبة الموسيقى. لقد تشاجرت السيدة "بريمونتيه" مع السيد "بريمونتيه" بسبب هذا الصندوق. اعترضت الأولى على أن تترك هذه القطعة الفنية في يد "بيبي"

التي تدمر كل شيء، واعترض السيد "بريمونتيه" على أن ينتزع شيئاً من ابنته قد أخذته بالقانون. لقد عرفت "بيبي" بهذا الحديث من خلال الباب الموارب الذي دخلت من خلاله دون أن يلاحظا ذلك. وعندما شاهدتها أمها صفعتها لتطفلها، شعرت "بيبي" بالظلم.

الصفعة وحرمانها من صندوق الموسيقى، كان كل ذلك قاسياً جداً حتى تتحمله "بيبي" التي صعدت السلم بسرعة إلى حجرة "ماجالي" باحثة عن المواساة.

أخذت تهزها وتناديها ولكن لم تستيقظ "ماجالي". تبينت حاسة الطفلة أنها ليست دعابة.

ذهبت تنادي "ماريت" وعلى الفور اجتمعت العائلة في الحجرة. نسيت السيدة "بريمونتيه" نفسها أن تفقد الوعي وكانت "إيزابيل" أول من فكر في استدعاء الدكتور "موريه" الذي وصل على الفور.

أحضر معه أجهزة معقدة. ساعدته "إيزابيل" برباطة جأش هناها الدكتور عليها.

دهشه – وهو يعرف قسوتها – أن يراها تنخرط في البكاء عندما أخبرها أن "ماجالي" قد انقذت. أخذت تقبل أختها وتهمس بكلمات لم يستطع أحد أن يسمعها.

أخيراً فتح قلب "إيزابيل" للحنان وكذلك للندم. عندما أفاقت سعدت "ماجالي" أن تكتشف أن "إيزابيل" التي لم تعرفها رقيقة تلبي طلباتها. حتى لو لم تكن على درجة من الشجاعة لكي تطلب العفو، إلا أن تصرفاتها ونظراتها كانت تعبر عنها.

هذا الكنز من العاطفة والحب الأخوي الذي اكتشفته في أختها ووجدت فيه عزاءها عن كل شيء آخر.

اتصل "جاك" تليفونياً عدة مرات ليعرف أخبار "ماجالي". وعرفت هي ذلك دون أن تتأثر. إنها مقتنعة أن "جاك" يفعل ذلك بدافع الشفقة ولم تحاول "إيزابيل" أن تغير هذه الفكرة.

في اليوم الخامس بعد مرض "ماجالي" وقع حادث كان من الممكن أن يغير كل الأحداث... لقد تسلمت "إيزابيل" البريد من ساعي البريد

وكالمعتاد أعطت كل الرسائل إلى "ماريت". إلا رسالة واحدة. لماذا فتحت الرسالة الموجهة لـ"ماجالي"؟ بدون شك لقد أراد القدر في ذلك اليوم أن تلاحظ "إيزابيل" على الظرف الطريقة الغريبة التي كتب بها العنوان بالآلة الكاتبة. أخبرها حدسها عن مصدر هذه الرسالة...

تذكرت أن "جاك" قد تعلم بشكل جيد الكتابة على الآلة الكاتبة وكان يستخدم ذلك في الكتابة عن الخيول وإرسال ما يكتب إلى جريدة خاصة بذلك.

لقد لفتت الطريقة التي كتب بها العنوان انتباه "إيزابيل".

تصورت "جاك" يحاول إدخال الظرف في الآلة الكاتبة ليدق العنوان.

شعرت بأن خطراً جديداً يتهددها في هذا الخطاب. إذن بدون أدنى تردد فتحت الخطاب...

كان قصيراً لكنها فكرت في أنها قد أحسنت الصنع. ببعض المهارة تستطيع أن تتجنب الخطر. بالتأكيد - إنها لم تعد تريد أي أذى لأختها، ولكنها في نفس الوقت لا تريد أن تضحي بـ"جاك" و"جورج".

توقفت خلف أشجار الورد لتقرأ في أمان، اعتاد الكلب "توبي" أن يحفر في هذا المكان. لم تجد "إيزابيل" صعوبة في أن تحفر حفرة جديدة دفنت فيها الخطاب التي مزقته إلى قطع صغيرة ودفنت معه سعادة "ماجالي"...

*****

كانت "ماجالي" بمفردها. قد ذهبت السيدة "بريمونتيه" و"إيزابيل" و"بيبي" إلى المدينة ليشترين فساتين جديدة. كانت هذه هي فكرة "ماجالي" التي أسعدت أمها وأختها التوأم. سخرت "بيبي" كالمعتاد ولكن كانت حقاً تحتاج إلى فساتين جديدة... فكرت "ماجالي" أن الحسنة الوحيدة لهذه الأموال هي أن تسعد بها ذويها.

كان السيد "بريمونتيه" قد ذهب في زيارة أحد الجيران الذي أخبره أنه قد حصل على مجموعة جديدة من الطوابع لجزيرة "موريس" لا يوجد منها سوى عشرة نماذج في العالم كله...

طار الرجل إلى صديقه معلناً أنه لن يأتي قبل الغد.

أما "ماريت" فكانت قد تغيبت للتسوق بعد أن تأكدت من أن "ماجالي" لا تحتاج شيئاً... كانت "ماجالي" لا تزال راقدة في سريرها وفقاً لأمر الطبيب الذي منعها من الحركة حتى اليوم التالي ولقد أذعنت. كان ذلك جميلاً أن تبقى هنا دون أن تفكر في شيء... مع "إيزابيل" التي تحيطها بالعناية والرقة، و"بيبي" التي تقدم لها تقريراً عن كل ما يحدث في المنزل، والسيدة "بريمونتيه" التي أسعدها كرم ابنتها وجعلها تتصالح مع الحياة وتسترد إشراقها الذي فقدته منذ وقت طويل.

كان الجو لطيفاً، شعرت "ماجالي" بنسيم لطيف يأتي من النافذة ليداعب كتفيها العاريتين اللتين انحسر عنهما القميص القطني الأبيض الذي أهدته لها "إيزابيل". شعرها الطويل اللامع معقود خلف رقبتها بشريط. حتى لا تضايقها كثافته..

أغلقت عينيها لتستمتع بهذا النسيم الجميل ثم فتحتْ عينيها حائرة..

سمعت صوتاً خلف الباب، ثم جاءتها دقات على الباب.

سألت "ماجالي" في دهشة: من؟

تركتها الإجابة صامتة ومرتعشة.

- هذا "جاك".

حاولت "ماجالي" أن تدفع كل الافتراضات التي على ذهنها.

همست: "تفضل".

كان صوتها ضعيفاً حتى إنه لم يسمعه فرددت ما قالت:

فتح الباب أمام "جاك" و"باسكال"، اندفع "باسكال" نحو "ماجالي" ليقبلها ثم راح يتحدث:

- لقد أتينا نحن الاثنين بمفردنا من خلال الطريق الصغير ولقد قدت "جاك" جيداً، لكننا لم نجد أحداً... أين "بيبي"؟

- "بيبي" في المدينة مع أمي و"إيزابيل". تفضل بالجلوس يا "جاك".

كانت دقات قلب "ماجالي" متسارعة وشعرت أنها مسموعة على بعد كيلومترات. بينما كان "جاك" مازال واقفاً عند عتبة الباب وعلى وجهه تعبير غريب لم تستطع "ماجالي" تفسيره.

راح "باسكال" يضع مقعداً لابن عمه وأجلسه. ساد جو من التوتر.

فكرت "ماجالي" في أن "جاك" لابد أن يكون نادماً على تكبد عناء المجيء إلى القصر و"إيزابيل" ليست موجودة.

لاحظ "باسكال" وجود الكلب "توبي".

– هل أستطيع أن أصطحبه إلى الحديقة؟

كادت "ماجالي" ترفض مذعورة من فكرة أن تبقى بمفردها مع "جاك" فهي لا تعرف ماذا تقول له.

لكنه تدخل قائلاً لابن عمه:

– فكرة طيبة جداً! اذهب لتريض "توبي". سيسعده ذلك... وسيسعدني أنا أيضاً.

عاد قلب "ماجالي" يدق بسرعة. لكنها لم ترد أن تستسلم لاضطرابها، عندما خرج الطفل والكلب. أخذت تتحدث بشكل طبيعي حتى تكسر هذا الشعور.

قالت: آسفة أنك جئت بدون أن تخبرنا. لو كانت "إيزابيل" تعلم بحضورك لما ذهبت للمدينة. لكنهن قد ذهبن منذ الصباح ربما لم تفكر في الاتصال بالتليفون.

قاطعها "جاك": لقد اتصلت بالتليفون. ولقد جئت لان أحداً لم يجب.

أعرف "بلروك" جيداً لقد لعبنا هنا كثيراً عندما كنا أطفالاً حتى أعرف أنك لا تستطيعين أن تسمعي التليفون وأنت في حجرتك. كما كنت أعرف أنك مازلت ترقدين في السرير، استنتجت من ذلك – بفضل ذكائي الذي تعرفينه – أنك بمفردك ولقد جئت.

إن نبرته كما هي لم تتغير ولكن لم تسمع "ماجالي" سوى تلك الكلمات الأخيرة "أنك بمفردك ولقد جئت".

لم تقو على الرد. شعرت بغصة في حلقها تمنعها من الكلام. ارتعشت، ولكي تسيطر على نفسها عقدت يديها.

استطرد "جاك":

– أنت بعيدة جداً عني يا "ماجالي" هل يزعجك إذا اقتربت منك؟ من الصعب أن أقول لك ما أريد وكل هذه السنتيمترات تبعدنا وهي بالنسبة لي كيلومترات من الظلام.

استطاعت "ماجالي" أن تهمس بأنه يستطيع أن يقترب، شعرت بضعف وغباء إجابتها.

نهض "جاك" وجلس على طرف السرير. التفت نحوها لكنه خفض رأسه وبدا متواضعاً وحرجاً وهذا ما لم تعتده فيه... ثم مد يده إلى "ماجالي" فوضعت "ماجالي" يدها المرتعشة في يده.

عندئذ، أطبق "جاك" بأصابعه القوية على يدها الرقيقة المرتعشة.

سألها: لماذا ترتعشين؟

أخذت ترتعش ولم تستطع أن تجيب إلا بصوت منخفض: لا أعرف.

– هناك شيء خطير أريد أن أسألك عنه يا "ماجالي"؛ يلزمني لذلك شجاعة كبيرة أحتاجها لكي أقرر إجراء الجراحة. إنهما شيئان أريد أن أسألك عنهما. الأول هو العفو... العفو عني بسبب الطريقة الكريهة التي عاملتك بها في ذلك اليوم...

قاطعته "ماجالي" بصوت أكثر تماسكاً.

– أرجوك. لست غاضبة منك. لا يوجد ما يدعو لكي أصفح عنك.

شدد على قبضته ليدها وقال:

– الشيء الآخر أكثر صعوبة. كنت أود أن أؤجله حتى أجري العملية لكني ضعفت عندما عرفت ما فعلت وخشيت ألا تواتيني الشجاعة الكافية إذا لم أعرف إجابتك قبل... "ماجالي"، هل تريدين أن تتزوجيني؟

في الحديقة، أخذ عصفور يغرد لحناً جميلاً لأفراخه الصغار وملأت السعادة قلب "ماجالي". لا شيء يستطيع أن يساوي هذه اللحظة السعيدة في حياتها. لقد جاءت الجنة إليها، في سهولة لم تتوقعها.

مال "جاك" نحوها وناداها في قلق: "ماجالي"...

عندئذ أحاطها بذراعيه. احتضنها بشدة كان لا شيء يستطيع أن يفرقهما.

ثم تكلم. بقيت "ماجالي" تسمعه كأنها مبهورة بما يقول.

– لو تعرفين كم أتألم عندما لا أراك! يا حبيبتي، كم أنا سعيد لأنني أحبك! لقد تأكدت من ذلك عندما جاءتني "إيزابيل". شعرت بالفراغ الذي سببه غيابك. لقد أفقت على الحقيقة التي كنت أنكرها. إني قاس وسيئ يا عزيزتي المسكينة كيف تستطيعين أن تقبلي؟

قالت "ماجالي" وهي تقبل يده:

– اصمت.

استطرد:

– يجب أن تصفحي عني. لا أعرف كيف أستطيع أن أُنسيك، كم كنت فظاً... لكن سيعطيني حبك القوة حتى أصبح أفضل لأنك تحبينني يا "ماجالي"، أليس كذلك؟

أجابت بابتسامة رقيقة:

– أنت تعرف ذلك جيداً.

لم تستطع أن تقول له كم مرة تردد "أحبك" في قلبها. الآن وقد تأكدت من أنه يقاسمها حبها حياء غريب منعها من الحديث، واكتفت بأن طبعت قبلة أخرى على يده.

استطرد "چاك":

– اسمعي، سأطلب منك ألا تقولي شيئاً لـ"إيزابيل". أريد أن أخبرها بنفسي عن قراري ولن أخبرها بموافقتك إلا بعد إجراء العملية.

سألته "ماجالي" في دهشة: وقد ظللت فكرة تعاسة أختها أحلامها الوردية:

– لماذا؟

– لأني أريد أن أكون متمتعاً بكل حواسي، في ذلك اليوم، سأطلب أن يتم زواجنا على الفور.

لم تقتنع "ماجالي" بهذه الأسباب، ولكن سعادتها منعتها من محاولة التفكير. اكتفت بأن ابتسمت لـ"چاك" كأنه يراها.

– سأتركك الآن يا عزيزتي. سيجرون لي الجراحة بعد غد ولن أراك حتى ذلك اليوم، لكن أريدك ألا تقلقي؛ أشعر أن هذه العملية ستنجح بفضلك، أنت التي أعطيتني الثقة التي لم تكن لدي. قبلك، كانت شجاعتي من الصلف (التبجح)، وتفاؤلي من الغرور وكانت مشروعاتي ترتكز على وعيي لقوتي. الآن لن يكون لي فكرة إلا وأنت شريك فيها ولن أعيش إلا من أجلك.

احتضن "ماجالي" من جديد وقبلها بقوة بينما ردت إليه قبلاته بحرارة.

نهض وقال: سأعرف أن أنزل السلم بمفردي لا تقلقي. سأرسل لك "باسكال" والكلب "توبي" المسكين الذي قد أنهك بالتأكيد من الجري.

إلى اللقاء يا حبيبتي فكري في أن الحياة أمامنا ولنا.

نظرت إليه "ماجالي" وهو يخرج بخطى واثقة. في اللحظة التي هم فيها بإغلاق الباب صاحت: أحبك...

كانها طفل نسي فجأة خجله... كانه وداع أخير لمسافر في رحلة بعيدة. رحلة الخوف والشك والأمل؛ ذلك لأن "ماجالي" كانت تعتقد أن كل ما قاله "چاك" عن العملية ليس إلا ليطمئنها...

توقف "چاك" والتفت إليها وابتسم. أرادت "ماجالي" أن تجري إليه. لكنه قال لها: "شكراً".

وأغلق الباب خلفه.

أدركت "ماجالي" أن ذلك من الأفضل...

أسندت رأسها على وسادتها وبدأت تردد كل ما قال "چاك" وستكون تلك الكلمات هي أغلى ما لديها حتى يلتقيا مرة أخرى إلى الأبد.

نادى "چاك" "باسكال" عدة مرات في الحديقة قبل أن يجيبه. ظهر الصغير لاهثاً وشرح له أنه وجد أشياءً في حفرة "توبي".

قال الطفل وهو يمد يده إلى "چاك" باشياء تعرف عليها "چاك" بأصابعه، إنها أوراق ملوثة بالطين!!

– إنها أسرار.

قال "باسكال":

– إنها مكتوبة بالآلة الكاتبة، وجدها "توبي". أردت أن أقرأها لكني لم أستطع إنها مقطعة إلى قطع صغيرة.

قال "چاك" في حدة وهو يدس الأوراق في جيبه:

– عمل سيئ جداً أن تحاول قراءة أشياء تظن أنها أسرار. بما أنها كانت مدفونة سندفنها مرة أخرى في مكان آخر!... هل أعطيتني كل شيء؟

أجاب "باسكال":

– نعم.

– حسن! خذ "توبي" إلى "ماجالي" وودعها. أسرع سنعود.

بقي "چاك" بمفرده وهو يهمس مرتعداً من شدة الغضب "هذا بالتأكيد ما أظن"...؟

الفصل التاسع

عاد "جاك" إلى بيته بعد زيارته لـ"ماجالي" وتملكته المخاوف. إنه يخشى شر وحقد "إيزابيل". إنها ليست فكرة "ماجالي" بالتأكيد أن تخفي هذا الخطاب. إنه يخشى أن تلاحظ "إيزابيل" إشراق وجه "ماجالي" بالثقة والأمل. وهنا قد تقع "ماجالي" في الفخ وتعترف بكل شيء لأختها. شعر "جاك" بالخطأ لأنه عهد لـ"ماجالي" بالسر إذ كان عليه الانتظار حتى يجري العملية. كان من الأفضل أن يخبر "إيزابيل" وأن يهددها حتى لا تؤذي أختها. أخذ يفكر عدة مرات في المشكلة وفي النهاية قرر أن يصارح "إيزابيل" بكل شيء

ما لم يقله "جاك" لـ"ماجالي" هو أنه لا يريد أن يخطبها رسمياً قبل العملية. أراد أن يتأكد أولاً من نجاح العملية. إنه لا يريد أن يجعل من "ماجالي" زوجة لرجل أعمى. إنها لن تتردد في الارتباط به وهو يعرف ذلك جيداً ولكنه سيرفض هذا الارتباط غير المتكافئ... "ماجالي" شابة جميلة وذكية وهو في المقابل رجل تعذبه ظلمته الأبدية وتتحمل زوجته نتائج معاناته المتواصلة... إنه يعرف بقدر كاف طباعه الصعبة وكبرياءه حتى يستطيع أن يتخيل مدى قسوته وعصبيته في حالة عدم شفائه... لكنه سعد بسماعه "ماجالي" تقول "نعم" قبل أن تعرف، وبأن يذهب إلى المستشفى وعلى شفتيه مذاق قبلاتها وفي أذنه صوتها.

تمنى "جاك" أن تأتي "إيزابيل" إليه في اليوم التالي. سيكون أول يوم تقوم فيه "ماجالي" من سريرها. و"إيزابيل" فضولية بالقدر الكافي حتى تحاول أن تعرف ماذا وصلت إليه مشاعر "جاك"! حتى لو كانت شديدة الثقة بنفسها.

في هذه الأثناء عادت "إيزابيل" والسيدة "بريمونتيه" إلى البيت وهما في خير حال. تتبعهما "بيبي" وهي أقل منهما سعادة.

لم يعجبها الجاتوه الذي أكلته في هذا المطعم الراقي.

أما أن ترتدي فوق أو تحت الركبة أو معطفاً رمادياً أو كحلياً فكل ذلك سواء بالنسبة لها.

لقد منحتهن "ماجالي" حرية كبيرة في التصرف في الأموال. صحبت السيدة "بريمونتيه" "بيبي" إلى متجر ملابس راق جداً للفتيات من سن العاشرة إلى الخامسة عشرة.

وهناك شعرت "بيبي" بالسأم وهي تشاهد الفتيات مصففات شعورهن يبتسمن مقلدات السيدات الكبيرات يتجولن في المتجر أمام عينيها في تفاخر.

كانت السيدة "بريمونتيه" سعيدة بهن أما "بيبي" فقد سئمت من تلك الفتيات اللاتي يشبهن الدمي اللاتي لا يعرفن بالتأكيد تسلق شجرة. فكرت ماذا سيحدث إذا لدغت إحداهن أو أخرجت لهن لسانها؟ هذه الفكرة فقط منعتها من أن تطلب أن ترحل، لكنها خشيت من رد فعل أمها. ووعدت بأن تطلب من "ماجالي" ألا تشتري لها ملابس جديدة مرة أخرى.

دخلت "إيزابيل" حجرة أختها محملة باللفائف، ومنعتها سعادتها أن تلاحظ أن "ماجالي" قد أصبحت أكثر جمالاً.

جاءت السيدة "بريمونتيه" بدورها لتشكر "ماجالي". التي عجبت من كل هذه السعادة التي تغمر أمها لأنها استطاعت أن تشتري بعض الأشياء التافهة بأموال الجدة.

في صباح اليوم التالي ارتدت "إيزابيل" ملابس الفروسية مكونة من بنطلون رمادي فاتح وسترة من نفس اللون.

توقعت "إيزابيل" أن هذه الملابس ذريعة جيدة لكي تذهب لرؤية "جاك". وهي في تلك الملابس الجديدة. بدلت عطرها بآخر أكثر رقة لكنه أغلى ثمناً. ذهبت إلى "بيوميراك" بنية أن تستعير حصاناً لنزهة صباحية. كان السيد والسيدة "بيوميراك" يتناولان الإفطار عندما وصلت إلى القصر. رأتهما "إيزابيل" من النافذة المنخفضة لغرفة السفرة. كانت السيدة "بيوميراك" خافضة رأسها وبدت كأنها تبكي.

لم تتردد "إيزابيل" في أن تختفي تحت النافذة. لا أحد يستطيع أن يراها، بسبب تلك الحشائش العالية المنتشرة في هذا المكان واسترقت السمع لتعرف سبب بكاء السيدة "بيوميراك".

إن الأمر لا يتعلق في الحقيقة بعملية "جاك" ولا برحيل السيد "بيوميراك" كما توقعت في البداية.

قال السيد "بيوميراك" بصوت منخفض ويعتريه الحزن:

– ماذا تريدين يا حبيبتي؟ أقسم لك إن هذا السمسار قد بدا أميناً. كما أنني لست الوحيد الذي خدع.

استطرد:

– كيف كان لي أن أتشكك بينما صديقي "باسراند" نفسه المعروف بحرصه الشديد لهذا النوع من العمليات قد عهد لهذا السمسار بمبلغ أكبر مني؟ لا أحد كان يستطيع أن يتوقع أن هذا البترول ليس له وجود إلا في خيال هذا النصاب...

لم تجب السيدة "بيوميراك" بشيء.

– لو كان لدي الشجاعة لأخبرتك على الفور، لكنني وصلت هنا في هذه الظروف ووجدتك حزينة وبائسة فلم تواتني الشجاعة لأنبئك بهذه الضربة...

ابتعدت "إيزابيل" بحرص ووصلت أمام باب "جاك"، طلب منها هذا الأخير الدخول دون أن يهتم بمعرفة الطارق. قالت "إيزابيل" متظاهرة بالسعادة:

– إنني "إيزابيل". أردت أن أطلب منك أن تعيرني الحصان "آخيل" لأتنزه هذا الصباح.

أجاب "جاك" مبتسماً لفكرة أن "إيزابيل" قد جاءت بسرعة كما توقع.

– بكل سرور.

لكنه استطرد:

– لكنّ لدي شيء أريد أن أقوله لك قبل ذلك. ألا تجلسين؟

حدثها حدسها أن ما ستسمع لن يكون خيراً لها.

جلست عاقدة يديها فوق ركبتيها.

كان "جاك" يلف حول إصبعه خاتم شعار الدوقية الذي سيكون له في يوم من الأيام.

نظرت "إيزابيل" إلى الخاتم في انبهار وسألت نفسها إذا كانت تريد أن

تكون دوقة أم زوجة ثري.

قال "جاك":

– أنوي أن أتزوج "ماجالي".

استغرقت هذه الكلمات وقتاً حتى استوعبتها "إيزابيل".

لقد سمعتها ولكنها أخذت ترددها حتى تتأكد من حقيقتها وتعي ما تقصد...

صمت "جاك". لقد مضى الأمر بطريقة أسهل مما كان يتوقع.

– لقد طلبت منها ذلك ووافقت.

– متى؟

دوى سؤالها كأنه صفعة سوط. أدرك "جاك" أن رد فعلها سيكون عنيفاً.

قال محاولاً أن يبدو هادئاً:

– بالأمس.

– إنها مدبرة إذن؟ لقد أرسلتنا إلى المدينة بالأموال لنشتري الهدايا كما يرسلون الخدم ليلهوا في المدينة بالمال حتى يخلو المكان للعاشقين.

– اصمتي... لم تكن "ماجالي" تعرف بذهابي إلى القصر، اتصلت لكي أطمئن عليها وأدركت أنها بمفردها لأن أحداً لم يجبني... ولقد ذهبت بمساعدة "باسكال".

– لقد قبلت إذن... هكذا... بدون صعوبة تأخذ مني خطيبي.

– نحن لم نعد خطيبين منذ وقت بعيد ولقد أخبرتها بأنني سأخبرك بنفسي بقراري هذا. لكنني لم أكن أنوي أن أفعل الآن. ثم فكرت أنني سأذهب لإجراء العملية وربما لا أعود وأنك قادرة على أن تجعلي "ماجالي" تعترف لك بما طلب منها أن تكتمه عنك. كما أنني أردت أن أحميها، أردت أن أقول لك ذلك! إذا فعلت أي شيء لـ"ماجالي" – وأنت تفهمينني جيداً – فستكون آخر فضيحة لك...

قهقهت "إيزابيل" كأنها مجنونة:

– نعم أعرف، لقد تغازلت مع "جورج" بشكل يثير الحزن...

– لا أتحدث عن ذلك... أتحدث عن الخطاب الذي لم يصل...

آه! هل يدهشك ذلك؟! اعلمي أن المصادفة تكون أحياناً أكثر قسوة من القاضي الذي يملك كل الأدلة... ويكفي كلب صغير لكي ينبش... لقد قلت ما يكفي وأنت ذكية لكي تفهمي. إني حزين لأني اضطررت لتهديدك. فقط اعلمي قبل كل شيء أنني أريد أن تكون "ماجالي" في سلام وألا تفسدي هذا القدر القليل من السعادة الذي قدمته لها. وألا تكون ضحية انتقامك.

لم تعد "إيزابيل" تسمعه، لقد عاد إلى ذهنها صورة السيدة "بيوميراك" وهي تبكي في حزن وصوتها التعس... على العكس مما تظن السيدة "بيوميراك"، يجب أن يعرف "جاك". وستقوم "إيزابيل" بهذا الدور بعد أن أصبحت جزءاً في هذه الدراما.

أخذت تضحك ورفع "جاك" نحوها وجهاً دهشاً.

قالت وهي لا تزال تضحك.

– أنت أكثر مكراً مما كنت أظن. لقد قلت لنفسك إن التوأم الأكثر جاذبية هي التي ورثت... لكني لست دهشة أن أراك منجذباً إليها هكذا. كنت اعرف أنك مجرد من كل أنواع الأخلاق.

دمدم "جاك":

– إني سعيد لأنك تفكرين في الأمر على هذا النحو. هذا ليس غريباً عليك ولكن ماذا سيفعل لي ميراث "ماجالي"؟

ضحكت "إيزابيل". إنه لا يستطيع أن يخمن أنها تعرف!

أما "ماجالي" فلن تعرف الحقيقة إلا عندما يشهر الزواج مع عقد لشركة. إنها ساذجة تماماً حتى تبدي أي اعتراض.

نهضت "إيزابيل":

– إذن هل مازلت أستطيع أن آخذ هذا الحصان؟

أجاب "جاك":

– بالتأكيد.

*****

لاول مرة في حياتها. أقدمت "إيزابيل" على فعل الشر بهدف ليس

شريراً. تصورت "ماجالي" وقد تزوجت "جاك" وهي سعيدة– أو معتقدة أنها سعيدة– ثم فجأة تكتشف فظاعة "جاك" وتهكمه وقسوته... وهي تجري بالحصان نحو "بلروك" فكرت بكراهية في خطيبها السابق دون أن تحاول أن تعرف إذا كانت هذه الكراهية بسبب حبه لأختها الذي اكتشفته مؤخراً، أو لأن "جاك" قد تخلى عنها بهذه الطريقة القاسية التي تجرح كرامتها.

نمت فكرة في رأس "إيزابيل". ستكشف كل شيء لأختها وستقترح عليها أن ترحلا معاً إلى "باريس" أو أي مكان. لن ترفض "ماجالي" ذلك وفي العاصمة ستجد "إيزابيل" بسرعة معجبين أكثر إعجاباً من "جاك بيوميراك" أو "جورج مونيه".

كانت مفعمة بالحماس وهي تطأ بقدمها الأرض أمام "بلروك". جاءت إليها والدتها مرتدية فستاناً أنيقاً من الحرير، واحداً من مشتريات الأمس، وامتدحت ملابسها الرياضية. لم تهتم "إيزابيل" بان ترد لها مجاملتها وتمتدح أناقتها، ونظرت إليها ساخرة وصعدت السلم في عجلة إلى حجرة "ماجالي". كانت "ماجالي" منشغلة بإصلاح دمية "بيبي" وهي أكثر الدمي قرباً من قلب "بيبي".

ابتسمت "ماجالي" في لطف إلى أختها عندما دخلت كالعاصفة كما تفعل دائماً. قبلتها "إيزابيل" على خدها قبل أن تجلس متسمرة كأنها تمثال.

وبعد دقائق، دهشت "ماجالي" من صمت أختها، فنظرت إليها متسائلة "إيزابيل" الثرثارة بطبيعتها تجلس الآن صامتة. ولا تجد الكلمات التي تعبر بها عن أفكارها؟

أدركت "ماجالي" أن سعادتها في خطر لكنها قد استمدت قوة كافية من "جاك" حتى تدافع بها عن حبها ضد أي تدخل، وإذا كانت لا تزال في حاجة لتدافع عنه في مواجهة "إيزابيل" فهي متأكدة أنها تستطيع ذلك.

سمعت– دون أن تتفوه بكلمة– حديث أختها قبل أن تجيب:

– أعتقد يا "إيزابيل" أننا قد أصبحنا صديقتين...

أريد أن أصدق أن "جاك" قد صرح لك بمشروعنا وإني لسعيدة بذلك؛

لاني كنت اشعر انني مخطئة في حقك، حتى مع علمي بانك لم تعودي تحبينه او حتى لم تحبيه على الإطلاق!... إني آسفة أن أقول لك ذلك، أما باقي حديثك فانا لا أصدقه. كان سيحدثني "جاك" في ذلك لو كان صحيحاً أنني أفكر حتى في أن ذلك عائق يمنعه من أن يصرح برغبته في الزواج مني.

سألتها "إيزابيل" متألمة:

– انت لا تصدقينني إذن؟

– لا، لا أصدقك. تفسيرك مبهم. لا أفهم لماذا صرحت لك السيدة "بيوميراك" بهذا السر. وانت...

– وانا آخر إنسان من الممكن أن يعهد إليه بسر؟

أعرف ذلك جيداً أنت لا تغضبينني. لا يهمني ذلك. بما أنك لا تصدقين سأقول لك كيف عرفت. إنها لم تخبرني طواعية...

أعادت "إيزابيل" سرد ما حدث دون أن تبدل الحقيقة في هذه المرة. وعلى الرغم من ذلك أغفلت أن تقول إن السيدة "بيوميراك" أعربت عن قلقها بشان رد فعل "جاك" عندما سيعرف هذا الأمر.

استمعت "ماجالي" إليها باهتمام وشعرت "إيزابيل" بان الشك بدأ يدخل قلب أختها. قالت لها في حماس:

– يا عزيزتي المسكينة. إني أعرف "جاك" افضل مما تعرفينه أنت. إنه إنسان قاس، مستعد دائماً للاستفادة من ضعف الآخرين. أعرف كيف تفكرين في. لن أتظاهر بأني ملاك، على أية حال أعرف صفاته السيئة كانه نفسي... لقد تغيرت منذ مرضك، صدقيني ليس مع الآخرين ولكن بالنسبة لك... لقد أصبحت الرؤية أكثر وضوحاً وتبينت أنك لم تكوني... ما أظن. تصورت أنك منافقة وأنك تخفين مكرك لتستغلي الآخرين.

إنك لا تعرفين أن تكتشفي خصال الآخرين... أرجوك... أرجوك، يجب أن تفهمي في هذه المرة أنني أقول الحقيقة. نعم إن "جاك" وحش ولا يجب أن تكوني ضحيته...

نظرت "ماجالي" إلى أختها وأدركت أنها تقول الحقيقة. اعتراها شعور

مميت بالتعب واقتنعت بأن السعادة لم تخلق لها. ألم تفكر دائماً في ذلك؟ لقد تحولت ساعات سعادتها القصيرة إلى سراب.

لم تشعر حتى في الرغبة في البكاء. تردد الكابوس، ولكن في هذه المرة أدركت أنها المرة الأخيرة.

بدا لها فجأة أنها أصبحت عجوزاً وأنها تودع شبابها الذي لم يكن لها الوقت لتعيشه.

قلقت "إيزابيل" أمام هدوئها وشحوبها وسألتها في قلق:

– هل تصدقينني يا "ماجالي"؟

ارتسمت على وجه "ماجالي" ابتسامة تعسة.

– اطمئني لقد فهمت الآن أنني لم أكن سوى حمقاء مستعدة دائماً أن تصدق أي شيء.

رفعت "إيزابيل" يدها معترضة ولكن بدون اقتناع؛ لأنها كانت في قرارة نفسها تعتقد ما تقوله أختها.

– "ماجالي"، هل تعرفين ماذا يجب أن نفعل؟

سألت "ماجالي" كأنها غائبة:

– ماذا؟

– يجب أن نرحل نحن الاثنتين.

لم تجب "ماجالي" بشيء. كانت تحتفظ حتى هذه اللحظة بالأمل في أن تدبر لها "إيزابيل" ما يساعدها على استرداد "جاك"، ولكن عرضها هذا بالرحيل يحمل برهان صدقها. إذا كانت تريد أن ترحل فلأنها مقتنعة بأن "جاك" مذنب، وأنها لم تؤلف شيئاً. شعرت "ماجالي" بالغثيان عندما تذكرت كلمات "جاك" ووعوده الملتهبة. كيف من الممكن أن يتواجد هؤلاء الناس القادرون على الخداع؟ المصلحة لديهم هدف قوي يمنع الندم على الإضرار بشخص ما.

سألتها "إيزابيل" من جديد:

– هل تريدين؟

قالت "ماجالي" فزعة كأن أختها قد أخرجتها من حلم:

– ماذا؟... آه! نرحل نحن الاثنتين... لست أدري.

– سنذهب إلى باريس" ونأخذ شقة صغيرة. أنت ترسمين وأقوم أنا بأعمال المطبخ.

عندما فكرت في أن تقوم "إيزابيل" بأعمال المطبخ، ابتسمت "ماجالي" على الرغم من همها. هذا أمر لا يصدق.

استمرت "إيزابيل" في حديثها تصف حياتهما في "باريس" لتقنع "ماجالي" التي أخذت شيئاً فشيئاً تفتن بالفكرة. أسعدها التفكير في أنها قد احتفظت باختها. لقد فقدت حباً ولكنها حصلت على الحب الأخوي. بالتأكيد لن يمر ذلك بدون عواصف. إنها تعرف "إيزابيل" جيداً حتى إنها تعرف أن هذه الشركة بينهما لن تكون بدون بعض الصعوبات إلاّ أن الأمر يستحق المحاولة.

صمتت "إيزابيل" وانتظرت وقلبها يدق منتظراً الرد الذي سيمنحها فرصة أن تصبح الفتاة الباريسية التي تريد أن تكون. ولكن أجابت "ماجالي" بما خيب أملها:

– أعتقد أنني في هذه اللحظة أريد أن أبقى بمفردي.

ستعرفين ذلك، وبعد ذلك أعتقد أن فكرتك ستكون ذات قيمة، لكني أريد أن أرحل بمفردي لبعض الوقت. سأطلب من المحامي أن يتخذ بعض الإجراءات حتي تكون الأموال تحت تصرفكم جميعاً. إنها أموالكم كما هي أموالي. لكني أريد أن أكون بمفردي. أنت تدركين، أليس كذلك؟

أجابت "إيزابيل" محاولة ألا تظهر غضبها:

– شيء طبيعي.

غلبتها طبيعتها الأنانية فشعرت بغضب كبير تجاه أختها. في كل ذلك، لا تنظر بعين الاعتبار للألم الذي تعيشه أختها. بدا لها أنه بواسطة المال، تستطيع أن تشفي جراح القلب. ونسيت في ظل أنانيتها ما قالته تواً لأختها. والذي كان سبباً لتعاستها.

حدثت نفسها: "بالتأكيد إنها تريد أن ترحل بمفردها حتى تنعم بحريتها الجديدة. ستستفيد بأموالها أولاً، وبعد ذلك تعطينا الصدقة ومن خلال المحامي".

كانت "ماجالي" بعيدة تماماً عن أن تخمن ما يدور في ذهن أختها.

كانت تفكر في حزن في هذه العزلة التي تشعر بأنها في حاجة إليها

وتخشاها في نفس الوقت. إن شفاءها النفسي لن يتحقق إلا برحيلها الكامل...

وعلى الرغم من ذلك أرادت أن تنتظر أولاً نتيجة جراحة "جاك". اضطرت إلى أن تعترف لنفسها بأن "جاك" مازال يملك قلبها وفكرت في أنها تحتاج إلى مزيد من الوقت حتى تتعلم ألا ترتعش عندما يذكر اسمه أمامها.

لم تتحدث "ماجالي"، وغادرت "إيزابيل" الغرفة دون أن تنبس بكلمة. لاحظت "ماجالي" رحيلها بصعوبة.

تذكرت كومة الجرائد التي تجمعها "بيبي" بشغف. لقد لاحظت– منذ وقت ليس ببعيد عندما كانت تنوي أن ترحل– إعلاناً وقد وضعت تحته خطاً حتى يسهل إيجاده.

أخذت الدمية وتوجهت إلى غرفة "بيبي". كانت تعيد كتابة الإملاء المليئة بالأخطاء التي أمرتها الآنسة "أورور" بإعادة كتابتها.

زفرت في ارتياح عندما رأت "ماجالي" تدخل الغرفة وتطلب منها المقابل لإصلاحها الدمية. راحت "بيبي" وأحضرت الجرائد وأخذت تبحث عن الإعلان. وبعد دقائق توصلت إلى ذلك.

سألت "ماجالي" مشيرة إلى الجريدة.

– هل أستطيع أن آخذها؟

عبست "بيبي":

– هل تحتاجين إليها حقاً؟

– إذا كان يضايقك فأعطيني ورقة وقلمك وسأنقل ما أحتاج إليه.

قطعت "بيبي" بدون حياء صفحة من كراستها الجديدة وكتبت العنوان: "بوتارد"، شارع المدارس، "بيريجو".

ثم أعادت إليها الجريدة وشكرتها. طوت "بيبي" الجريدة في عناية لا تتبعها عندما تقوم بواجباتها الدراسية، ووضعتها مع الجرائد الأخرى في الدولاب الذي تطلق عليه "دولاب الأسرار".

عادت "ماجالي" إلى غرفتها وأخذت في الكتابة على الفور:

سيدتي:

بالإشارة إلى الإعلان الذي تطلبون فيه معلمة...

الفصل العاشر

كانت "جوزيت بوتارد" تجلس في هدوء في الحديقة حتى لا يفوتها مجيء الآنسة العجوز. كان فوق ركبتيها "بابا" القط الكبير الكسول الذي يمضي حياته نائماً في الشمس أو بالقرب من المدفأة. شرحت له للمرة العشرين:

– تعرف يا "بابا" انه يجب أن تكون لطيفاً جداً؛ لأن الآنسة العجوز تحب الحيوانات كثيراً ولا يجب أن تأكل بيغاءها ولا أن تحاول أن تتشاجر مع كلبها. ولا يجب أيضاً أن تكون غيوراً لأني سأظل أحبك أكثر من كل الحيوانات الأخرى...

قال صوت مرح بالقرب من الفتاة الصغيرة:

– إني أسأل نفسي دائماً كيف يحتمل هذا القط كل ما تفعلينه به؟

رفعت الفتاة وجهها المبتسم نحو السيدة الشابة التي تحدثها.

على الرغم من أنها قد تخطت الثلاثين، إلا أن والدة "جوزيت" بدت كأنها مازالت فتاة شابة. شعرها قصير وبني وعيناها بنيتان لامعتان.

أما "جوزيت" فقد كانت فتاة جميلة، فهي أكثر الأطفال نظافة وهنداماً. حتى كراساتها فقد كانت غاية في النظام على الرغم من فزعها من أي عمل فكري.

قد دفع ذلك والديها إلى أن يبحثا عن معلمة وأوقفاها عن الذهاب إلى المدرسة حيث كانت تقضي وقتها باكية طالبة العودة إلى المنزل.

كانت السيدة "بوتارد" تجلس إلى جوار ابنتها.

– هل تفكرين في معلمتك؟

عبس وجه "جوزيت" المستدير.

أجابت بصوت منخفض وهي تربت على "بابا" لتخفي رغبتها في البكاء.

– نعم.

ضحكت السيدة "بوتارد". التي تدعى باسم غريب "جاميكا" وينابيها زوجها "كاندي" وأحاطت ابنتها بذراعيها.

– إني متأكدة أن هذه الآنسة العجوز ستكون ممتازة. وفكري في أن لديها ثلاثة حيوانات! وأنت تحبين الحيوانات كثيراً...

لكن انظري... من القادم؟ هناك تاكسي أمام البوابة.

إنها بالتأكيد الآنسة "مارلين".

تركت "جوزيت" بابا، الذي سقط على الأرض واستمر نائماً حيث سقط، ونهضت مسرعة ثم أمسكت يد والدتها وجرت الاثنتان نحو البوابة.

كان التاكسي واقفاً أمام البوابة وهناك شخص يتناقش مع السائق. لم تلمح "بوتارد" سوى جسد لآنسة شابة ترتدي معطفاً مقاوماً للماء وشعرها مخبأ تحت إيشارب. التفتت "ماجالي" فصاحت "جوزيت". ابتسمت إليها "ماجالي" ثم خاطبت والدتها:

– آسفة يا سيدتي لكن ليس معي فكة وهذا السيد ليس معه أيضاً.

قالت السيدة "بوتارد":

– "جوزيت" اذهبي واحضري حقيبتي.

ذهبت "جوزيت" وفتحت السيدة "بوتارد" البوابة.

– تفضلي يا آنستي نحن نتحدث وكل منا على جانب من البوابة كأننا حيوانان في حديقة الحيوان.

ضحكت في مرح وسرعان ما أخذت "ماجالي" بهذه الضحكة الساحرة وهذا الوجه الصغير اللطيف.

تمتمت ببعض عبارات الاعتذار وأخرجت من التاكسي ثلاثة أقفاص حيث كان "إديمار"، "توبي"، و"بوم".

نزل السائق بدوره وأخرج حقيبة "ماجالي" الصغيرة ووضعها على الأرض. وشكر السيدة "بوتارد" التي أحضرت لها "جوزيت" نواً حقيبتها فاعطته الأجرة مع بقشيش سخي.

كان "توبي" يتضور جوعاً في قفصه قال صوت "أديمار" الحاد:

– بسكويت من أجل "أديمار"..

عند سماع ذلك قهقهت الأم والفتاة.

ثم صمتتا ثم عادتا للضحك وأخذت "بوتارد" ذراع "ماجالي":

– أرجو المعذرة. أعرف أنك دهشة، لكن اطمئني سأروي لك كل شيء. في البداية تعالي لابد أنك جائعة.

– أشكرك يا سيدتي لقد أكلت توا فطيرة.

– فطيرة في مثل سنك؟ هذا ليس إفطاراً، هيا كوني لطيفة.

أنا لم آكل بعد، لن ترفضي أن تشاركيني الطعام.

نظرت "ماجالي" إلى الأقفاص الثلاثة.

– لا تقلقي ستأخذ "كورالي" حيواناتك. إنها تعشقها وستهتم بإطعام ثلاثتهم. لن تهرب لابد أن تكوني مطمئنة.

قالت "ماجالي" في خجل:

– إن الببغاء شرس إلى حد ما.

نادت السيدة "بوتارد":

– "كورالي"، أين أنت إذن؟

أجاب صوت بالقرب منها؟

– هانا، هانا.

هكذا ظهرت "كورالي" في الحديقة.

كانت امرأة زنجية قوية. تتحدث بدون لهجة ولكن بنبرة بطيئة فتبدو عباراتها كأنها أغنية.

قالت لاهثة:

– لقد كنت في محطة القطار، وعندما وصلت كان القطار قد وصل بالفعل فلم ألحق بالآنسة العجوز.

وهي تتحدث نظرت إلى "ماجالي" متسائلة ثم رأت الحيوانات فارتسمت على وجهها دهشة. عندئذ عادت السيدة "بوتارد" وابنتها إلى المرح من جديد بينما زادت حيرة "كورالي".

فجأة لاحظت "كورالي" أن "أديمار" يعض ريشه.

أخذت القفص على الفور وحدثت الطائر بلغة سمعها هذا الأخير بانتباه ثم في سعادة.

التفتت "كورالي" نحو "ماجالي".

قالت بابتسامة ساحرة:

– هذا العصفور من بلادي.

وعادت تتحدث إلى "أديمار" من جديد الذي بدت سعادته واضحة.

قالت السيدة "بوتارد":

– أعتقد أنك مطمئنة الآن. قدمي يا "كورالي" الطعام للآخرين أيضاً. "جوزيت" ستساعدك بينما أساعد هذه الفتاة المسكينة على الراحة قليلاً.

ذهبت "جوزيت" طواعية مع "كورالي" بينما أخذت السيدة "بوتارد" "ماجالي" إلى الشرفة حيث كانت الطاولة معدة للإفطار.

أعجبت "ماجالي" كثيراً بالمفرش الأزرق الذي وضع فوقه أدوات الطعام المذهبة وصحبة الورد الأحمر المزدهرة في الزهرية الفضية، أجلست السيدة "بوتارد" "ماجالي" بعد أن خلعت معطفها والإيشارب.

صاحت السيدة "بوتارد" في إعجاب عندما انحسر الإيشارب عن شعر "ماجالي" الحريري.

– كم هو جميل شعرك!

وربتت رأسها في إعجاب مما أثار دهشة "ماجالي" وإعجابها أيضاً بهذه التلقائية.

قالت السيدة "بوتارد" وهي تصب الشوكولاتة الساخنة لـ"ماجالي":

– في البداية لابد أن أشرح لك ثم نضحك كثيراً. عندما تسلمنا خطابك لا أعرف لماذا اقتنعنا أنا و"جيروم" أنك آنسة عجوز لا تريد أن تنفصل عن حيواناتها الثلاثة لأنها السبب الوحيد لحياتها. تصوري إذن دهشتنا عندما رأينا بدلاً من الآنسة العجوز فتاة رائعة الجمال مثلك... بالمناسبة. ما سنك؟

– إحدى وعشرون يا سيدتي...

– لا تبدين كذلك... بالمناسبة عمري خمسة وثلاثون عاماً وهذه الفتاة التي رأيتها ابنتي وستكون تلميذتك.

قالت "ماجالي":

– أنا مستعدة لذلك.

– انتظري حتى تعرفيها بصورة أفضل... خذي شطيرة. إنك لا تأكلين شيئاً. لا تقولي إن ذلك لكي تحافظي على رشاقة قوامك أنت نحيفة

بالفعل. هذا ليس سبباً لكي تتضوري جوعاً. أين كنا؟ آه نعم، كنت أحكي لك عن أفراد العائلة. هناك زوجي "جيروم" الذي لم تعرفيه بعد. أتمنى ألا يقع في حبك! لا تخجلي.

يجب أن تكوني قد تعودت على أن تجرّي القلوب خلفك فأنت جميلة جداً.. هناك أيضاً "زافييه" وهو ابن "جيروم" من زواج سابق كان عمره عشر سنوات عندما ماتت أمه لكنه لم ينسها. أحاول أن أعوضه عنها وأفعل ما بوسعي، ولكن ذلك ليس سهلاً...

تنهدت.

أضافت:

– يبدو أنها كانت سيدة رائعة وأنت ترين كيف أني طائشة وثرثارة. إني أسأل نفسي كيف أحبني "جيروم"...

لاحظت "ماجالي" أنها عندما تنطق اسم زوجها يشرق وجهها كأنه بفعل نور داخلي يملأ قلبها.

وفي كل مرة كانت تشعر "ماجالي" بوخز في قلبها.

حدثت نفسها "هل من المعقول أن هناك اثنين يتبادلان الحب في سعادة؟"

رفضت بإصرار الشطيرة الثالثة التي قدمتها لها السيدة "بوتارد" وبدأت الأخيرة في حديث آخر.

– إذا أردت أن تسعديني فكفي عن مناداتي بسيدتي، ناديني "كاندي". أعرف أنك خجول، لكن أرجوك افعلي كما أقول لك لإسعادي.

نهضت.

– ستطلعك "كورالي" على حجرتك. لن تتعرفي على "جيروم" سوى عند العشاء. لن يأتي للغداء اليوم...

بيني وبينك أعتقد أنه يخشى أن يقابل هذه الآنسة العجوز وحيواناتها... أما "زافييه" فلن تريه إلا بعد بضعة أيام. إنه مسافر.

سألت "ماجالي":

– أليس في المدرسة؟

– أرى أن فكرتي عنه خاطئة تماماً كفكرتنا عنك. هذا خطئي أنا! إني

أتكلم بسرعة وبطريقة غير مرتبة... لا، "زافييه" ليس في المدرسة: إن عمره ستة وعشرون عاماً وهو ملازم في البحرية.

*****

مرت خمسة عشر يوماً منذ مجيء "ماجالي" إلى منزل عائلة "بوتارد". لقد ارتبطت بسرعة بـ"جوزيت" والتي كانت الصفة السيئة الوحيدة لها هي الكسل الشديد. كانت "ماجالي" مقتنعة، مثل "جيروم بوتارد" بأن ذهن "جوزيت" سيتفتح فجأة كما يحدث لدى العديد من الأطفال. لم تنتظر "ماجالي" أن تحصل من "جوزيت" على نتائج مدهشة لكنها كانت تفعل ما بوسعها حتى تجعل الدرس شيقاً، ولقد نجحت في ذلك، فقد كانت "جوزيت" تفرح بقدوم ساعات الدرس. في ذلك الصباح كانت "ماجالي" مع تلميذتها في الحديقة لدرس في التاريخ الطبيعي عن سلوك النمل.

صاحت "كاندي" وهي تنظر إلى الساعة التي تشير إلى العاشرة:

– آه يا إلهي، سيصل "زافييه" اليوم! لقد نسيت!

كم أنا ساهية!

أسرعت نحو الباب واكتشفت أنها حافية. لبست في عجلة صندلاً خفيفاً، ذهبت إلى "كورالي" التي كانت تغني في المطبخ بينما كان "أديمار" يدندن في قفصه معبراً عن سعادته. بمجرد أن رأى "كاندي" صاح:

– "كاندي"، "كاندي" صباح الخير يا "كاندي".

كانت "كورالي" معجبة تماماً بالسرعة التي تعلم بها اسم "كاندي". كانت "كاندي" تخاف من هذا الطائر وكانت تحاول إخفاء هذا الخوف.

قالت "كاندي" بعد أن ابتسمت إلى "أديمار" لتسعد الخادمة:

– "كورالي"، لقد نسيت أن السيد "زافييه" سيصل اليوم.

– لا تقلقي يا سيدة "چاميكا". لقد تذكرت أنا وصنعت له "جاتوه" بالليمون كما يحب... لكني لم أذهب لأحضره من المحطة لأننا لا نعرف أبداً كيف يصل.

ساد برهة صمت.

ثم قالت "كورالي" فجأة وهي تغوّص ذراعيها في الماء والصابون حيث

كانت تغسل الملابس:

– الآنسة "كاميل" حزينة. (لقد قدمت "ماجالي" نفسها لعائلة "بوتارد" تحت اسم "كاميل مارلين").

دهشت "كاندي":

– لماذا تقولين ذلك يا "كورالي"؟

– لأنها تبكي ليلاً.

– هل أنت متأكدة من ذلك؟

– لقد أعطاني الله أذنين لأسمع، وغرفة الآنسة "كاميل" تلامس غرفتي... وأقول لك إنني أسمعها تبكي، لم أكن لأقول لك ذلك... لو لم أفكر في أن عليك أن تفعلي شيئاً.

– بالتأكيد يا "كورالي". أنت محقة! يا لها من طفلة مسكينة!

كنت أشك في أن هناك سراً في حياتها. إني أفكر دائماً في أنه يجب احترام صمت من لا يريد أن يتحدث. ولكن إذا كانت حزينة لدرجة أنها تبكي في سريرها ليلاً فكيف نجد وسيلة...

قالت "كورالي":

– الوسيلة، ربما ستكون السيد "زاڤييه".

– ها! ماذا تقصدين؟

– تفهمين... لمداواة جرح الحب، لا يوجد سوى الحب.

– هل تعتقدين أن حزنها بسبب الحب؟

سألت "كورالي" مبتسمة:

– ماذا تريدين أن يكون؟ عندما تكون الفتاة جميلة مثلها وتبكي ليلاً، فإنه الحب.

اقتنعت "كاندي" بكلام "كورالي"، الأمر لا يحتاج إلى مناقشة إن "كورالي" محقة.

– لماذا "زاڤييه"؟

– ألا تجدين أنها مناسبة تماماً للسيد "زاڤييه"؟

في تلك الأثناء كانت "ماجالي" تحاول دون أن تنجح في أن تركز في الدرس الذي يجب أن تشرحه لـ"جوزيت".

لكن رفض ذهنها أن يتابع كلماتها. ذهب ذهنها بعيداً نحو الشاب الذي يلف حول عينيه عصابة سوداء.

عصابة تحجب آماله، ويأسه.

لقد مرت العملية بسلام، ولكن كانت لا تزال على عينيه، يجب أن تكونا في ظلمة كاملة. اقتربت الأيام من ذلك اليوم الذي سيعرف فيه إذا كان سيرى أم لا.

لامت "ماجالي" نفسها على أنها مازالت تفكر فيه وتبينت أن هذه المسافة التي تبعدهما لا تهدئ حزنها بل جعلته أكثر قسوة ومرارة.

شعرت بالعرفان تجاه السيد والسيدة "بوتارد" لأنهما لم يسألاها عن حياتها الشخصية مثل: ماذا يعمل والداها؟ وما الذي اضطرها للعمل؟ اختارت اسم "كاميل مارلين" حتى تكتمل غربتها حتى عن نفسها. والآن قد توطدت معرفتها بعائلة "بوتارد" فهي تشعر بالراحة بينهم.

كانت تذهب كل صباح إلى مكتب البريد لتبحث عن خطابات والدها الذي كان ينقل لها أخبار الجميع.

في كل أسبوع كان المحامي يرسل إليها ملخصا عما يحدث بطريقة جافة لكنه كان ينتهي بعبارة لطيفة.

إن السيد "بريمونتيه" هو الوحيد الذي حصل على عنوانها. احترم باقي أفراد العائلة رغبتها في إخفائه. لم تبك "بيبي" عندما عرفت أن "ماجالي" سترحل لبعض الوقت... لأول مرة تغلق عينيها عما تسميه مبالغة ابنتها.

لقد كانت "ماجالي" في سن الرشد كما كانت تملك هذه الثروة التي توحي إلى السيدة "بريمونتيه" بأن تحترمها احتراماً كبيراً.

سألت "جوزيت" في هدوء:

– والنمل – الأسد. هل يصرخ بقوة مثل نمل الحدائق؟

سمعت "ماجالي" ضحكة خلفها. دهشة التفتت بينما قفزت "جوزيت" لتتعلق برقبة شاب أشقر متوسط القامة بينما يضيء وجهه عينان فاتحتان لا يمكن تحديد لونهما.

فكرت "ماجالي" وهي تنهض:

هذا "زاڤييه". قالت أيضاً "إنه يبدو طيباً".

الفصل الحادي عشر

مثل الساحر رجع الدكتور "موريبيه" إلى الوراء، بعد أن أزاح الرباط الأسود الذي كان يغطي عيني "جاك" وقال:

– ها هو..

كانا بمفردهما في الحجرة. لم يرد "جاك" أن تحدث هذه الاحتفالية في وجود أحد من عائلته.

حتى الآن كان يأمل وينتظر اللحظة الرائعة التي سيرى فيها الذي طالما حلم بها خلال تلك الأيام التي لم تكن سوى ظلام. في الغيام رأى النافذة وإطارها غير محدد، وبعيداً قليلاً كتلة خضراء بها شيء من الاحمرار. لابد أنها أشجار. شيئاً فشيئاً أصبحت النافذة أكثر تحديداً بإطارها الرمادي وأوراق الأشجار الخضراء تتراقص بفعل النسيم الرقيق.

إنه لحن من الألوان الرقيقة وأصبحت الصورة أكثر تنسيقاً أمام عيني "جاك" الذي كاد يصرخ.

صمت الدكتور "موريبيه" متأثراً تماماً. إنه يحضر ولادة الأمل. حتى إنه حسد الشاب على ما يشعر به في هذه اللحظة.

حرك "جاك" يديه بتلقائية أمام عينيه ليراهما. ثم نهض وتقدم ثلاث خطوات نحو الباب الذي فتحه على مصراعيه.

كانت السيدة "بيوميراك" تقف خلف الباب. عندما رأت ابنها وضعت على شفتيها المنديل الذي كانت تمسكه في يدها وحملقت إلى وجه ابنها الذي فتح لها ذراعيه فدفنت وجهها في صدره وأخذت تبكي. أدرك "جاك" كم كانت أمه قلقة وخائفة.

مر بيده في حنان على وجهها الندي بالدموع. لمس التجاعيد التي لم تكن موجودة من قبل. تلك التجاعيد التي شقها قلق الأم وحبها.

قال في مرح:

– الآن هناك شيء سأقوله لك وسيعزيك أسرع من أي شيء آخر.

قالت الأم معترضة، ومبتسمة خلال آخر دموعها:

– إنها دموع الفرح.

أمسك "جاك" كتفيها وأدخلها الغرفة حيث وقف الدكتور "موريبيه" مبتسماً بالقرب من النافذة.

قال الدكتور:

– سأذهب لأخبر السيد "بيوميراك" بالأخبار السعيدة، لقد لاذ بالحديقة كما فعل يوم ولادتك. سأذهب لأتصل أيضاً بالجراح الذي لم يستطع أن يأتي هنا اليوم، ولكنه ينتظر بفارغ الصبر أن أعطيه نتائج الجراحة.

خرج مبتسماً قبل أن تشكره السيدة "بيوميراك". فجأة فكر "جاك" أن هذا الجو من التفاؤل الذي يعيشه منذ قراره بإجراء العملية قد لا ينتهي النهاية المرجوة.

اقشعر وهو يتأمل الشجرة الضخمة التي تتراقص أوراقها والتي ستبقى بالنسبة له رمزاً للسعادة التي عادت إليه.

ثم مال نحو والدته وأجلسها ممسكاً كتفيها في المقعد الذي طالما قضى عليه ساعات قاسية من الفراغ.

– عندي خبر لك يا أمي. قبل الجراحة طلبت من "ماجالي" أن تتزوجني... لقد وافقت... وفسخت خطبتي مع "إيزابيل".

شحبت السيدة "بيوميراك". ولم تجب بشيء.

استطرد "جاك":

– هذا يدهشك. أعرف ذلك. ماذا بك يا أمي؟

كنت متأكداً أنك ستفرحين بهذا الخبر! كنت أعرف بأنك لست سعيدة بارتباطي بـ"إيزابيل".

همست السيدة "بيوميراك" كأنها غير مصدقة:

– هل طلبت منها الزواج؟

أجاب "جاك" الذي غابت مزحته:

– نعم.

همست السيدة "بيوميراك" بصعوبة:

– لقد رحلت.

– رحلت!

– نعم رحلت، ولا أعرف أين.

– لكن لماذا؟

لم تستطع السيدة "بيوميراك" أن تجيبه.

عندئذ دخل السيد "بيوميراك" الغرفة وأسرع نحو ابنه دون أن يلاحظ الحزن الذي ارتسم على وجهه. احتضنه بين ذراعيه متأثراً حتى إنه لم يستطع الكلام. ثم أمسك كتفيه بقوة ونظر إليه فرأى في عينيه خيبة أمل واضحة، فظل غير مدرك...

قال "جاك" مجيباً على سؤال والده الصامت:

– لقد رحلت "ماجالي".

قال السيد "بيوميراك":

– أعرف لكني لا أرى...

نظر إلى زوجته التي لم تعرف سوى أن ترمقه بنظرة حزينة ثم النظر إلى ابنها الذي ينظر إلى الأرض دون أن ينبس بكلمة. ثم سألته:

– هل تحدثتما؟

أجاب "جاك":

– نعم لقد طلبت منها الزواج وقبلت. متى رحلت؟

أجابت الأم:

– في اليوم التالي لإجرائك الجراحة.

قال "جاك" مؤكداً في ثورة:

– سأعرف لماذا، والوحيدة التي تستطيع أن توضح لي هي "إبزابيل". سأراها على الفور...

أمسك سترته وخرج بسرعة دون أن يضيف أي شيء ودون أن يعرف والداه كيف يتدخلان.

بقي السيد والسيدة "بيوميراك" بمفردهما ينظر بعضهما لبعض. سأل:

– هل تعتقدين أنه من المحتمل أن تكون "ماجالي" قد عرفت بأمر الرهن وأن هذا...

تدخلت السيدة "بيوميراك" قائلة:

– لا تفكر في ذلك. إن هذا يتنافى مع طبيعة "ماجالي". ولكني في ذات الوقت أشك في ذلك.

– ماذا تقصدين؟

أجابت السيدة "بيوميراك" وهي تمد إلى السيد "بيوميراك" ورقة أمسكها دون أن يفهم.

فردها قائلاً في دهشة:

– إنه شيك.

شرحت السيدة "بيوميراك":

– هذا الشيك يسد قيمة الرهن وإني متأكدة من أنه من "ماجالي". كيف عرفت، لست أدري، لكن من غيرها يستطيع أن يفعل ذلك؟ لقد استدعاني بالأمس المحامي "تانبل" الذي أخبرني بأنه مكلف بأن يعطيني هذا الشيك دون أن يستطيع أن يقول لي مصدر المال. كما أنك ترى أن الشيك موقع من المحامي "تانبل" نفسه والبنك لن يكشف لنا عن اسم المانح الكريم... يجب أن أضيف أيضاً أن السيد "تانبل" بدا غير موافق محاولاً ألا يظهر لي ذلك.

– لماذا غير موافق؟ إنه غاضب مني بدون شك لأني رفضت المشروعات التي عرضها علي وفضلت العمل في مشروعات أوسع.

– لا، أعتقد أن هذا المانح الكريم واحد من عملائه وهو يرفض عملا كريما إلى هذا الحد.

– إذا كان محاميها يرفض فلماذا تقبل "ماجالي" على مثل هذا العمل؟

أجابت السيدة "بيوميراك" متأكدة:

– لأنها تحب "جاك" وأرادت ألا تكشف له هذه الحقيقة.

– لماذا رحلت إذن؟

– لا أعرف، لم أعد أفهم.

قال السيد "بيوميراك" بعدم اكتراث:

– على أية حال سيجد "جاك" ما يواسيه. هناك بالتأكيد فتيات جميلات أخريات لا يطلبن سوى أن يكن سيدات يحملن لقب عائلة "بيوميراك".

قالت زوجته في حدة:

– خاصة بعد أن فُك الرهان.

نظر إليها كالطفل المعاقب. ولكنها رفضت أن تحن.

ذهب إذن ليجلس إلى جوارها وأمسك يدها على الرغم من مقاومتها،

وغطاها بالقبلات.

قالت:

– أنت لا يمكن إصلاحك. هل تجد أن هذه المعجزة التي خلصتنا من هذا الحمل الثقيل طبيعية؟ ألم تسأل نفسك إذا كان من حقنا أن نقبل هذا الشيك؟

أجاب السيد "بيوميراك".

– سامحيني، منذ أن عرفت أن "چاك" يستطيع أن يرى من جديد وجدت أن الصعوبات المالية ليست شيئاً يذكر.

أخذ يضحك في سعادة.

تنهدت السيدة "بيوميراك" ونظرت إليه وقد سامحته. كان يجب أن تعترف أنها نفسها قد نسيت العالم كله عندما عرفت أن ابنها قد شفي.

لكن لم يستطع قلبها أن ينسى "ماجالي". كانت مقتنعة أن هذه الأخيرة تحب "چاك"، وأنها هي مصدر الشيك وأن لغز رحيلها يجب أن يحل.

كان "چاك" قد وصل أثناء ذلك إلى "بلروك". جاءت "بيبي" لمقابلته.

سألته:

– ماذا بك؟ لا تبدو سعيداً.

– لكن بلى.

قالت:

– أنت لست لطيفاً. منذ رحيل "ماجالي" لا يوجد سوى "باسكال" الذي يهتم بي قليلاً.

شعر "چاك" بالندم لقسوته مع الفتاة الصغيرة.

– هذا طبيعي. أليس هو حبيبك؟

ابتسمت "بيبي" في دلال. ثم أجابت:

– لا أحب ذوي الشعر الأحمر.

قبلها "چاك".

قال مبتسماً:

– أيتها المرأة الصغيرة:

قالت "بيبي" معترضة:

– لكنني امرأة. قالت "ماجالي" إنني تقريباً فتاة شابة. إذن هذا نفس الشيء.

ارتعش "چاك" عندما سمع اسم "ماجالي" من جديد.

على الأقل كانت الفتاة الصغيرة تعرف شيئاً دون أن تعرف قيمة ما تعرفه.

سأل "بيبي" في جدية:

– ألا تريدين أن أزورك في غرفتك حتى نستكمل حديثنا هذا؟

قادته "بيبي" إلى غرفتها وهي سعيدة حيث تسود فوضى كبيرة، قدمت لـ"چاك" مقعداً عليه دمية دون ذراع.

قالت:

– إنها شريرة هذه الدمية. لقد كسرت ذراعها وهي تتسلق الشجرة. إنها خرقاء! ويل لها. هل تريد بعض الحلوى؟

مدت يدها بالحلوى التي كانت في جيبها إلى "چاك" الذي أخذها حتى لا يغضبها.

قال:

– لابد أنك تفتقدين "ماجالي".

رأى التأثر على وجه الفتاة الصغيرة.

قالت:

– ستعود قريباً.

أدرك أنها تردد ذلك لنفسها باستمرار حتى تهدئ ألمها.

أجاب:

– بالتأكيد. عندما تنتهي من رحلتها ستعود إلينا.

قالت "بيبي":

إنها لم تذهب في رحلة. لقد ذهبت لأنها تعسة.

أخذ قلب "چاك يدق بسرعة.

سأل متظاهراً بأنه يسأل سؤالاً طبيعياً:

– لماذا هي تعسة؟

أجابت "بيبي" في سذاجة:

– لست أدري. ربما لأن جدتي قد ماتت. كانت تريد أن ترحل منذ زمن بعيد.

وأضافت في فخر.

– أنا أعرف أين هي.

قال مداعباً:

– هذا ليس صحيحاً.

وكان يقول في نفسه: "يا إلهي! اجعلها تقول"!

أجابت "بيبي" في هدوء:

– بلى: هذا صحيح لكني لن أقوله لأحد.

شعر "جاك" أنه يعيش في قصة خيالية حيث يمتلك أسرارها الرئيسية كائنات غير واعية لأهمية ما تعرف ويصمتون ضاحكين بينما تتوقف حياة آخرين على ما يعرفونه.

قال متظاهراً بالهدوء:

– خسارة! لأنك إذا أخبرتني أين هي لذهبت لأحضرها على الفور.

جحظت عينا "بيبي" في دهشة ولكن سرعان ما انطفأ لمعانهما.

همست في يأس:

– لا أستطيع أن أقول.

– هل منعتك من أن تقولي لي؟

– لا، إنها لا تعرف أنني أعرف.

أدرك "جاك" أنها ليست لحظة طلب التفسيرات.

يجب أن يستفيد من رغبة الفتاة في رؤية أختها.

قال لها في حماس:

– فكري كم سيكون ذلك رائعاً إذا رحلت وأحضرتها غداً.

سألت في تردد:

– هل تستطيع؟

قال "جاك" باقتناع:

– بالتأكيد أستطيع.

حاولت "بيبي" أن تقاوم. ولكن ستغفر لها "ماجالي" كل شيء. عندما ستعرف أنها هي من أعطى عنوانها لـ"جاك"؛ لأنها أرادت أن تراها بشدة، ستسامحها بالتأكيد.

قالت:

– ٨٠ شارع المدارس "بيريجو".

لم يضيّع "جاك" الوقت في سؤالها كيف عرفت.

شعر أن "بيبي" تقول الحقيقة وأن "ماجالي" توجد هناك حقاً. بدأ يتخيل هذا الشارع وهذا المنزل.

كف عن تصور "ماجالي" في طرق مجهولة. إنها قريبة الآن وسيستطيع أن يضمها بين ذراعيه كما كان يفعل.

سينقشع الكابوس ولن يدعها تتركه أبداً.

"٨٠ شارع المدراس"... "٨٠ شارع المدراس".

قبل "بيبي" بقوة حتى إنها صرخت:

– أنت تؤلمني.

– آسف يا ساحرتي. آسف سأرحل على الفور وساحضر "ماجالي". أعدك بذلك ولن تذهب أبداً.

خرج تاركاً "بيبي" حائرة. إنها ليست متأكدة من أنها قد أحسنت التصرف... إذا كانت "ماجالي" سوف تزجرها وتعاملها على أنها خائنة.

ذهبت لتحضر كومة الجرائد وأخذت الذي به العنوان.

خشيت أن تكون قد أخطأت العنوان.

لكنه كما قالت ٨٠ شارع المدارس. العنوان الذي رأت "ماجالي" تكتبه قبل رحيلها. تنهدت في سعادة ناسية قلقها. إنها سترى "ماجالي"...

عاد "جاك" إلى بيته، دخل غرفته وأخذ حقيبته حيث دس أغراضه: فرشاة الأسنان، ماكينة الحلاقة الكهربائية وبيجاما. لكنه توقف فجأة ونظر إلى الحقيبة رافعاً كتفيه.

قال:

– إنني مجنون. لست ذاهباً في سفر طويل. إنها رحلة ذهاب وعودة. لماذا آخذ كل هذا؟

قاوم شعوراً سيئاً تملكه ولم يعرف تفسيره.

مسح بيده على جبهته.

قال:

– أنا عصبي جداً. لقد تلقيت صدمة كبيرة وزاد من توتري هذا الأمل

الجديد.

في نفس اللحظة طرق الباب. إنها السيدة "بيوميراك" نظرت إلى حقيبة السفر وسألت في قلق:

– أترحل يا عزيزي؟

قال "جاك":

– نعم سارحل لأجد التي هربت مني وأجبرها على العودة إلى مكانها بالقرب مني.

نظرت إليه كأنه قد أصبح مجنوناً وقالت رغماً عنها:

– السعادة لا تجبر. السعادة تأتي عندما تريد وترحل عندما يحلو لها ذلك.

حاول أن يزيح عن نفسه هذا الشعور الغريب الذي تملكه منذ قليل والذي يعاوده بإلحاح.

قال في عناء:

– أنا سأجبرها وسأريك أنك مخطئة.

نظر إلى أمه معاتباً.

– أنا متأكدة من ذلك يا عزيزي، فكرتي لا تسري إلا على هؤلاء الذين تقدموا في السن. إني أفكر في نفسي عندما أقول ذلك. بالنسبة لك الأمر مختلف. الشباب يأمر السعادة.

ابتسمت إليه في حنان وقبلته.

– شكراً لما تقولينه لي على الرغم من أني لست موافقاً على الطريقة التي ترينها بها. أريد أن أودع أبي. سارحل على الفور.

– على الفور؟.. لكن ليس هناك قطار.

– من قال لك إنني سارحل بالقطار؟ سارحل بالسيارة بالتأكيد.

قالت له السيدة "بيوميراك" ترجوه في قلق:

– أرجوك لا تأخذ هذه السيارة المفزعة.

أجاب محاولاً أن يطمئنها:

– ألا تعرفين أن نفس الحادثة لا يمكن أن تحدث مرتين؟

لقد تم إصلاح السيارة وأصبحت كالجديدة. هيا أعدك ألا أتعدى ٧٠ كيلو متراً في الساعة. تعرفين أنني أفي بوعودي دائماً. خاصة وعودي لك...

– والدك عند المحامي...

– قبليه من أجلي إذن.

خرج مسرعاً إلى الجراج بعد أن ودع أمه.

كان أمام عجلة القيادة عندما هرولت نحوه السيدة "بيوميراك" وسألته:

– أنت لم تخبرني حتى أين أنت ذاهب.

قال "جاك" وهو يغمز ليهدىء أمه:

– هذا سر.

أضافت بينما كان يدير السيارة:

– لقد نسيت حقيبتك.

ووضعت إلى جواره حقيبة السفر.

عاد إليه الشعور السيئ. وحاول أن يطرده عن نفسه.

نظرت إليه أمه وهو يمضي وأعادت الإيشارب على كتفيها لتحمي نفسها من البرد الذي سرى بجسدها فجأة.

*****

كان المطعم ساحراً ومزيناً بذوق رفيع وكانت الخدمة أيضاً ممتازة...

عندما خرجت شعرت "ماجالي" في سعادة أنها أمضت سهرة جميلة. بدا لها كل شيء أسهل فجأة كما بدت لها الحياة لطيفة.

"زاڤييه" الذي كان يقود السيارة التفت إليها وابتسم في الظلام. ثم تحدث. استمعت "ماجالي" ورأسها مائل، كلماته موسيقى غير مألوفة وغريبة.

عندما نزل من السيارة أمام الڤيلا فتح لها باب السيارة، ترنحت فأمسكها بين ذراعيه ثم لمس بشفتيه شعرها الحريري.

على الجانب الآخر من الشارع كان الظلام يخفي "جاك بيوميراك" الذي شحب وأخذ قلبه يدق بسرعة.

منذ ثلاثة أيام يراقب "ماجالي" دون أن يدق جرس الباب شعر أن هواجسه كانت تنبئه بهذا الاكتشاف.

ألقى بسيجارته في النهر فانطفأت على الفور.

رفع ياقة قميصه ورحل بدون كلام.

الفصل الثاني عشر

بعد عودته من "بيريجو"، حبس "جاك" نفسه في حجرته، كما كان وقت مرضه ولم تستطع أمه أن تعرف سره.

كانت قلقة. ولكن زال قلقها قليلاً عندما رأت "جاك" يستأنف نزهاته بالحصان ويهتم بالحقل أكثر مما كان يفعل في السابق. اهتم بالحسابات.

لا شيء أصبح يهمه أكثر من الأرض والعائد منها. في وقت متأخر من المساء كان يقرأ الكتب الخاصة بالزراعة والمجلات المتخصصة. من ناحية أخرى، كان لطيفاً مع عائلته ولكن كانت أمه تشعر بأن هناك جرحاً ما في قلب ابنها.

لم تعرف السيدة "بيوميراك" ما إذا كان يجب أن تسعد في اليوم الذي رأت فيه "جاك" عائداً من نزهته بالحصان ومعه "إيزابيل". والاثنان يبتسمان ويظهران كل علامات التوافق.

في الأيام التالية، كانت "إيزابيل" هي التي تأتي إلى "جاك" وفي كل مرة كانت السيدة "بيوميراك" تنظر إليهما وهما يخرجان. كانت تشعر بوخز في قلبها.

في الأيام الأولى كانت نزهاتهما كئيبة بعض الشيء: شيئاً فشيئاً نجحت "إيزابيل" في أن تجعل "جاك" يتحدث عن الأرض التي أخذت كل اهتمامه. لم تعد تمثل دور الفتاة الفاتنة ولكنها كانت بجانبه صديقة رائعة.

لم تساله أبداً عن سفره إلى "بيريجو" على الرغم من رغبتها الشديدة في أن تعرف ماذا حدث هناك.

كان "جاك" ممتناً منها لأن تكون بسيطة ورياضية، وأن تكون له في مكانة الصديقة، وتهتم بطريقة ذكية بأسرة "بيوميراك". لقد كان متشككاً في البداية، ولكن اختفى هذا التشكك نهائياً عندما تبين أن "إيزابيل" لم تعد تلجأ إلى أي من الحيل النسائية، ولم تعد تستسلم إلى أهوائها التي اعتادت عليها.

باختصار: اكتشف "إيزابيل" جديدة طبيعية لطيفة بدون تصنع وربما

تكون مجروحة بشكل لا تريد إظهاره ومازالت تحبه.

إنه يعتقد ولا يستطيع أن ينكر أنه مهتم بها.

إن "إيزابيل" بدون شك فتاة جميلة جداً. وعلى هذا النحو أخذ شيئاً فشيئاً يؤخذ بفتنتها، ولكن بطريقة مختلفة لأنه لم يعد مطلقاً مغرماً بها.

على الرغم من ذلك، خلال إحدى نزهاتهما بالحصان سقطت "إيزابيل" أثناء ركوبها الحصان. وعندئذ وجدت نفسها بين ذراعي "جاك". دفعها هذا الأخير حتى تعود إلى نفسها بطريقة كان من الممكن أن تؤدي إلى إيذاء الفتاة في حالة ما إذا كان هناك كسر بسبب سقوطها.

تخلصت من ذراعيه وهي تعتذر لضعفها، ودهش "جاك" مرة أخرى لأن يراها غير مبالية بمعاملته لها.

عندئذ تحدث كأنه مرغم بصوت محايد لا يحمل أي عاطفة.

قال وهو ينظر إليها في هدوء:

- "إيزابيل"، لماذا لا تتزوجينني؟

كتمت "إيزابيل" بصعوبة صرخات الفرحة والانتصار. شعرت للمرة الأولى أنها سعيدة بصدق. طبيعتها المعقدة والمتكبرة وجدت تعويضاً بعد كل الإهانات التي تعرضت لها. النصر الذي حققته بأسلحة جديدة كان نصراً أغلى بالنسبة لها من أي نصر آخر، ربما لصعوبته... ربما لأنها تجد نفسها عاشقة فعلاً لـ"جاك".

أخذت بعض الوقت قبل أن تجيب محاولة أن تسيطر على نبرات صوتها حتى لا تظهر نبرة الانتصار. جاءت إجابتها بنفس نبرة السؤال:

- لماذا لا؟

في هذه اللحظة اعتقدت أن "جاك" سيضمها إلى صدره وسترى الشعلة التي طالما أضاءتها في عينيه.

اكتفى بأن أشار إلى الحشائش إلى جوارها كرجل أعمال يشير إلى زائر بالجلوس في أحد مقاعد مكتبه.

شعرت - "إيزابيل" بصدمة بعض الشيء... إنها حركة بسيطة ولكنها تنم عن الكثير... إلا أنها قد جلست.

- ألا ترين يا عزيزتي "إيزابيل" أننا ناضجان لكي يتم بيننا زواج عاقل.

بالتأكيد إنه زواج عقلي.

قد يبدو ذلك مخيفاً لكن نحن الاثنين لنا روح ساخرة. ولقد أدركنا بقدر كاف الأشياء مما يجعل ارتباطنا مختلفاً عن الحياة الحزينة التي تنتظر اثنين غير متحابين ويتزوجان فقط بغرض تأسيس بيت.

استطرد "جاك": على نفس الوتيرة:

– نحن الاثنين متحابان بقدر كاف ومتفاهمان يمكننا أن نقيم ارتباطنا على الفهم والصداقة والتذوق المشترك، وهذا في رأيي يجنبنا الفشل ويساهم في بعض النجاح... من الواضح أننا لسنا عاشقين ولن نكون كذلك أبداً. كما ترين لقد، عشنا هذه الفترة من العاطفة ونعرف أنها لا تدوم...

صمت "جاك" ونجحت "إيزابيل" في أن تبتسم إليه بدلاً من الإجابة وبينما كانت تفكر.

"من بين كل الإهانات التي تعرضت لها فإن هذه الإهانة غير متوقعة والأكثر قسوة... بينما أنا مستعدة لكي أفتح له ذراعي، مستعدة لحبه وأنتظر الكلمات التي توطد ارتباطنا عندما يتحدث، وكان كلينا في الأربعين من عمره، وكان أملنا الوحيد هو الراحة بعد عناء بالقرب من صديق.

صعدت كلمات مرة إلى شفتيها ولكنها منعت نفسها من أن تصرخ.

"إذا كانت هذه هي الطريقة التي تحبني بها فتزوج إذن الآنسة العجوز "أورور" أو أي واحدة أخرى على شاكلتها... هل تعتقد أنني أستطيع أن أعيش معك كأنني مربية أو كلب وفي أو رفيق طيب؟.. هل أنت مجنون حتى تتحدث معي على هذا النحو؟

ألا ترى أنني شابة وجميلة وأحبك؟.. للمرة الأولى أحب ويجب أن يكون أنت الذي كنت لفترة طويلة لعبة بالنسبة لي. أنت الذي كنت أراه يرتعش أو يشحب لونه عندما أضحك مع شاب آخر. أنت الذي كنت تشبهني بالليل المرصع بالنجوم والنبع المتفجر في الجبال، والطائر بهي الألوان الذي يدير ظهره لمعجبيه... إنه أنت من كان يقول كل ذلك واليوم تأتي لتحدثني عن العقل"!

نظرت إليه. يبدو أنه هو أيضاً شارد في أفكاره وتمنت فجأة ألا يكون

هذا الحديث سوى حيلة ليعرف مشاعرها، حيلة رجل ذي تجارب.

مدت يدها نحوه لكنه لم يرها، وتحدث من جديد وعيناه سارحتان.

– عندما رأيتها بين ذراعي هذا الشاب. كان قلبي قد مات لحظتها... الحمد لله! إن قلبي مازال يستطيع أن يشعر بالصداقة ومازال لي بعض ما يجعلني سعيداً.

نظر إلى "إيزابيل" التي كانت قد سحبت يدها وأدارت رأسها.

قال:

– آسف لأني لا أعرف أن أرسم. إنك رائعة في جلستك هذه... هيا لنمتطي الحصان وستقولين لي غداً رأيك في عرضي.

نظرت إليه "إيزابيل" بعينيها السوداوين الجميلتين بنظرة متفاخرة. إنها لم تكن جميلة جداً مثلما كانت في هذه اللحظة. ألا إن "جاك" لم يكن ينظر إليها. كان مشغولاً بتثبيت السرج على الحصان قالت بدون أن يرتعش صوتها:

– بالتأكيد إني موافقة.

مد "جاك" إليها يديه ليساعدها على ركوب الحصان، متجاهلة مساعدته صعدت بسرعة من الجانب الآخر لحصانها ونظرت إليه وهو لا يزال عاقداً يديه حتى تصعد عليهما ظهر الحصان:

قالت:

– بم تحلم أيها التابع الجميل؟ ألا ترى أن أميرتك تهم بالرحيل؟

ابتعد قليلاً بينما انطلقت بالحصان دون أن تنتظره.

طار شعرها الطويل في الهواء ووصلت دموعها إلى شفتيها بمذاقها المالح.

على الرغم من ذلك، في نفس المساء قالت لوالدها الذي كان يكتب في مكتبه:

– أبي، سأتزوج "جاك" خلال شهر وربما في وقت أقرب من ذلك إذا كان ممكناً.

رحلت دون أن تنتظر الإجابة وبقي السيد "بريمونتيه" وقلمه في الهواء يتأمل هذا الخبر.

ثم أومأ برأسه واستأنف كتابة خطابه الموجه إلى "ماجالي":

"خطوبة "إيزابيل" التي لم يكن أحد يتحدث عنها، واعتقدت بسذاجة أنها قد فسخت لم تكن كذلك، حيث إنها ستتزوج "جاك" خلال شهر" ...

هذه الجملة التي قرأتها "ماجالي" في اليوم التالي أوحت لها بقرار خطير: هو أن تتزوج "زافييه".

عادت بتفكيرها إلى ذلك المساء الذي نزلت فيه من السيارة. لقد أمسكها "زافييه" بين ذراعيه مما أعطاه الشجاعة لكي يصرح لها بمشاعره.

قال لها:

– لن أطلب منك أن تعطيني إجابتك على الفور.

لقد اتخذت "ماجالي" قرارها الآن. فكرت في أن "زافييه" سيكون زوجاً يحسدها عليه الجميع... سيحبها ويدللها. ستتعلم أن تكون هوائية وغريبة الأطوار بما أن ذلك هو ما يحفظ الرجال... ستتعلم أيضاً أن تتظاهر، بما أنه لا يوجد هناك شيء جاد في هذه الدنيا فستجعل من حياتها فراغاً براقاً مثل الكثير من النساء. حسن، ستكون هي أيضاً طائشة، مغتابة وأيضاً شريرة إذا لزم الأمر!

شعرت بالقوة في ظل هذه القرارات وأسكتت صوتاً يقول لها: إنها تستسلم للياس وأن الياس سيئ تماماً مثل الغضب. ذهبت إلى "زافييه" واستطاعت أن تقول له "نعم" بدون أن ترتعش. استطاعت أن تسيطر على رغبتها في أن تسحب كلمتها عندما رأته قد شحب فجأة بينما قبل يديها الباردتين هامساً بكلمات غير مفهومة.

*****

كشفت له "ماجالي" عن شخصيتها الحقيقية.

أجاب "زافييه" بأنه يفضل "ماجالي" على كاميل".

وتوجه الشابان إلى "بلروك".

كان "زافييه" يقود بمهارة وهو يتحدث إلى "ماجالي" التي كانت تحاول أن تتجاوب مع حديثه من آن لآخر. وصلا إلى غابة أشجار البلوط حيث عثرت "ماجالي" ذات يوم على "بيبي" و"باسكال". قالت في هدوء:

– سنكون في البيت بعد خمس دقائق.

دهشت للعاطفة التي هزت قلبها عندما نطقت بكلمة (البيت).

أوقف "زافييه" السيارة.

قال:

– أنا سعيد يا عزيزتي. سعيد جداً. لكني خائف قليلاً لأننا سنتقابل بعد قليل مع ماضيك... كوني لطيفة وطمئنيني.

مال نحوها وقبلها بينما أغلقت عينيها كأنها تسدل ستاراً لتخفي الصور التي تظهرها كلمات "زافييه".

الفصل الثالث عشر

كانت عائلة "بريمونتيه" بأسرها تقف عند عتبة الباب في استقبال الطفلة المفضلة وصديقها.

نظر السيد "بريمونتيه" إلى زوج ابنته المنتظر.

ولكنه اعطى اهتماماً أكبر لـ"ماجالي" التي لاحظ شحوب وجهها.

أما السيدة "بريمونتيه" فقد أمضت الليل تفكر دون جدوى لكي تقرر أي سلوك تتبع: تسامح الأم تجاه أهواء ابنتها غير المتوقعة أم التحفظ لأم مستاءة ولا تفهم ما هذا الانحلال الذي طرأ على طفلتها التي حصلت على أحسن تربية.

جاء ترددها بسبب عدم معرفتها لما قد تكون روته "ماجالي" لخطيبها...

في النهاية، فليس أمامها أن تلعب دوراً كبيراً.

تعلقت "بيبي" برقبة "ماجالي". وهي تتحدث بسرعة وتلتهم أختها بقبلاتها.

في هذه الأثناء اكتشف "زاڤييه" "إيزابيل" واقفة مستقيمة على عتبة الباب كأنها تنتظر دورها لتتدخل في المشهد. لقد حدثته "ماجالي" عنها دون تفاصيل فاعجب بجمالها وشموخها الذي لم يقلل منه بساطة زينتها.

لقد تخلت "إيزابيل" منذ وقت طويل عن الفساتين الصاخبة لرغبتها في أن تروق لـ"جاك" كانت كبيرة. ولكن لم يخمد دلالها. عندما قابلت نظرات إعجاب "زاڤييه" ابتسمت ابتسامة رقيقة ولمعت عيناها بالتحدي.

هذا لم يعجب "زاڤييه" فاشاح عنها.

واخيراً تبادل التوأمان القبلات بحب لاحظه "زاڤييه". ودخل الجميع إلى القصر بدعوة من السيدة "بريمونتيه" التي حرصت بأن الشاي جاهز في المكتبة كأنه بوفيه حفل عرس.

لاحظ "زاڤييه" سخاء الطاولة التي زخرت بالشطائر والكافيار والبيتي فور. إنها تكفي لإطعام خمسة أشخاص يتضورون جوعاً منذ أيام.

لقد شعر بالضيق بسبب ذلك، كل ذلك يتناقض مع بساطة "ماجالي" ولا يتوافق مع ما قالته له عن عائلتها.

ذهب "زاڤييه" ليجلس بالقرب من "ماجالي" التي كانت جالسة على

الأريكة تحتضن "بيبي". جلس في الجانب الآخر ومال نحو "بيبي".

– ألا يضايقك أن أجلس بجانبك وبجانب "ماجالي"؟

أريد أن أتحدث معك قليلاً.

– مازلت لا أعرفك.

قال "زاڤييه":

– تماماً، لكن هل تعرفين ما اسمي؟

– نعم "ماجالي" قالته لي تواً.

– إذن.

قالت السيدة "بريمونتيه" في دلال آخذة بذراع "زاڤييه" لتجعله ينهض وأخذته إلى المائدة:

– هيا، هيا لندع الثرثرة ونفكر في الطعام فذلك أكثر ضرورة.

أخفى "زاڤييه" ضيقه بمشقة.

وابتسمت "بيبي".

قالت مخاطبة "ماجالي":

– إنه يفضل أن يبقى معي.

وأضافت:

– إنه لا يروق لي.

سألتها "ماجالي":

– لماذا؟

أجابت "بيبي":

– لأنه سيتزوجك.

قالت "ماجالي" معترضة:

– لكن إذا جئت لتعيشي معنا فهل سيسعدك ذلك؟

– ألن تعيشي هنا؟

– بالتأكيد لن أعيش هنا. "زاڤييه" ضابط بحري. يسافر كثيراً تعرفين أن له أختاً صغيرة في مثل سنك تقريباً. وسيسعدها كثيراً أن تتعرف عليك.

– هل حدثتها عني؟

لم تسمع "ماجالي" هذه الجملة.

شعرت فجاة أن شيئاً ما سيحدث... ما تخشاه وتأمله في ذات الوقت هذا التناقض الذي يأتي من حب تجاهد حتى تنساه. سيأتي... إنها متأكدة من ذلك... شعرت أن قلبها يطير إلى السماء. عندما فتح الباب ليدخل "جاك بيوميراك".

وقفت السيدة "بريمونتيه" في سعادة وتقوم بتعريف القادم الجديد. مر بين "زاڤييه" و"جاك" تيار من العداء غير واضح لسواهما. تصافحا وعلى شفاههما ابتسامة متبارزين يستعدان للنزال.

ثم تقدم "جاك" نحو "ماجالي" وسألها عن صحتها وهناها على مظهرها الطيب، وهو غير صادق في ذلك إذ كانت الفتاة شاحبة تماماً.

لم تجد القوة حتى تجيبه وقالت لنفسها في يأس: "الجميع ينظرون إلينا وسيكتشفون شيئاً".

كان ما تفكر فيه ليس صحيحاً ولكن كانت "ماجالي" تعتقد أن كل النظرات مسلطة على الأريكة.

حيث تجلس متسمرة صامتة ومرتعشة تحملق إلى "جاك" يائسة وتشعر بأنها ستفقد الوعي.

بدلاً من أن يشفق عليها من شدة اضطرابها راح "جاك" يجلس بالقرب منها. ويستمر في حديثه اللاهي.

لاحظ "زاڤييه" ذلك فظهر عليه شيء من الغضب. وضع طبقه على الطاولة ولكن شعر بيد تربت ذراعه.

همست "إيزابيل" خلفه:

– لا داعي للفضائح، هل أنت غيور إلى هذا الحد؟

قالت السيدة "بريمونتيه".

– البحرية، يا لها من شيء جميل! لو كنت رجلاً لعملت بحاراً. لم تلق المداعبة صدى لدى "زاڤييه" الذي لم يحرك عينيه من على الأريكة.

سألت السيدة "بريمونتيه" التي كانت قلقة أكثر من أن تكون غاضبة:

– ألم أقل شيئاً مضحكاً؟ حقاً يا "إيزابيل"؟ ليس لديك أي احترام تجاهي...

ابتسم "زاڤييه" ثم اتجه مبتعداً نحو السيد "بريمونتيه" الذي كان يرتشف في صمت عصير البرتقال حالماً في طوابعه.

قالت "إيزابيل" ساخرة:

– كما ترى لم يعد أمامك سواي حتى تحدثه. إلا إذا كنت ستختار أن تكون غيوراً وتتركني لتذهب وتتشاجر مع خطيبتك... لا تنس أنها تجلس مع خطيبي؛ ونتيجة لذلك فإن لدي كل الأسباب حتى أظهر حسن التصرف مثلك تماماً.

قال "زاڤييه":

– ربما تكونين واثقة بنفسك.

– ألست أنت أيضاً كذلك؟

ندم "زاڤييه" على أنه تكلم. هذه الفتاة اللاذعة ستجعله يقول أشياء لا يستطيع أن يعترف بها لنفسه بسهولة.

قال متهرباً:

– إني أسأل نفسي نفس السؤال أحياناً.

قالت "إيزابيل":

– أو ربما لا تكون واثقاً بـ"ماجالي"؟

التفت إليها "زاڤييه" وعيناه تعبران عن الاحتقار.

قال في جفاف:

– لم أكن أنتظر منك مثل هذه الملاحظة.

أجابته "إيزابيل":

– أعتقد على العكس أن هذه هي تماماً الملاحظة التي تنتظرها مني. أنت تراني غير لطيفة ومنذ مجيئك تنظر إلي كأنني عنكبوت.

اعترض "زاڤييه" مرتبكاً.

قالت: لا تدافع عن نفسك. رأيك لا يهمني.

شعر "زاڤييه" أنها صادقة وفكر في ندم أنها ربما تكون حادة الذكاء. ذكاء لاذع يصل حتى نظراتها.

لاحظها وهي ترتشف الشاي في جرعات صغيرة ورأى أنها من فوق فنجانها تنظر إلى "جاك" و"ماجالي" الجالسين جنباً إلى جنب وينعكس من مشهدهما حنان واضح.. أدرك على الفور أنه أحمق وساذج ألا يكون قد فكر في ذلك من قبل: الحزن الذي يكسو وجه "ماجالي"... لم يشك في

شيء لأن "جاك" كان خطيب "إيزابيل" ولكنه الآن متأكد من أن شيئاً دراميا،، يجهله حدث بين هؤلاء الثلاثة...

إلا أنه هو نفسه من أغلق شفتي "ماجالي" ووعدها بالا يحكي لها شيئاً قبل الزواج.

قال لنفسه:

"يا لغبائي" وشعر برغبة شديدة ومؤلمة في أن يعرف كل شيء.

وضعت "إيزابيل" يدها مرة أخرى على ذراعه من جديد فشعر بارتعاش أصابعها.

قالت له كأنها قرأت أفكاره وبصوت به رجاء:

- لا تتخيل نفسك كومة من الغباء.

جاءت "ماريت" لتعلن عن مجيء زائر جديد.

إنه شاب مبتسم. شعر "زاڤييه" بانه لطيف. توجه أولاً نحو السيدة "بريمونتييه" ليعتذر عن تدخله. ترامت إلى أسماع "زاڤييه" بعض الكلمات. لقد كان ماراً بالمنطقة ففكر في الدخول ليحيي العائلة.

كانت السيدة "بريمونتييه" سعيدة جداً. في المساء كانت تشكو وتتحدث عن هذا اليوم غير المحتمل، والآن فهي في قمة سعادتها أن تستقبل الزائرين وتتحدث.

قدم "جورج مونيه" نفسه لـ"زاڤييه" وهناه.

قدمت له "إيزابيل" طبقاً به بعض الشطائر:

- تفضل أنت جائع دائماً.

لم يأخذ "جورج" الطبق المقدم إليه وسمعه "زاڤييه" يسأل:

- ألا أستطيع أن أكلمك بعيداً عن هذا الصخب؟

أجابت "إيزابيل" باختصار: لا يمكن.

تنهد "جورج" وازداد ضيق "زاڤييه". أراد أن يرحل على الفور ومعه "ماجالي" بعيداً عن هذا الماضي المعقد الذي يستشف منه ألماً أكثر من السعادة...

نهض "جاك بيوميراك" واستأذن بالرحيل.

جاء إليهما وقال في جفاف لـ"زاڤييه" دون أن يتكلف عناء الابتسام:

- إني سعيد بلقائك.

التفت نحو "إيزابيل" وسألها: هل ستأتين؟

ابتسمت: لا أستطيع أن اترك "ماجالي" في يوم وصولها.

لكن أضافت و"جاك" يتجه نحو الباب:

- لكني سأرافقك...

غير واعية لمراقبة "زاڤييه" تابعت "ماجالي" "إيزابيل" و"جاك" بعينين حاسدتين. أدرك أنها لم تشفَ من حب "جاك" أبداً الذي يؤلمها.

وفي ذات الوقت تخلل الحزن قلبه.

في اللحظة التي قرر التوجه نحوها. رأى "جورج مونيه" يجلس في المكان الذي تركه "جاك".

عاد إليه الشعور بالغيرة.

قال لنفسه في غضب:

- هو أيضاً؟

زادت دهشته عندما رأى "ماجالي" تنهض وتتبع "جورج" خارج الحجرة. وجد نفسه فجأة مع السيد والسيدة "بريمونتييه" و"بيبي". وشعر بالعرفان تجاه "إيزابيل" عندما ظهرت في هذه اللحظة.

قالت وهي تمسك ذراعه.

- سأصطحب "زاڤييه". سأطلعه على القصر.

اعترضت السيدة "بريمونتييه" ولكنها لم تصر على اعتراضها. كان حذاؤها الجديد يؤلمها ففكرت في إبقائهما معها بضع دقائق.

اصطحبت "إيزابيل" "زاڤييه" إلى الحديقة التي بدأت الشمس تغيب عنها وأخذت تحدثه في موضوعات متفرقة ولكنه لم يستطع أن يرد عليها. فجأة توقفت وقالت ملتفتة إليه في حماس.

- كن قوياً، يجب أن يكون الأمر أسهل بالنسبة للرجل عن المرأة! لماذا تصر على أن تجري خلف السراب؟ ألا تعرف أن هناك أناساً أحياناً يبدون كأنهم يعطونك كل شيء، في الحقيقة هم لاينتمون إليك.

تملك "زاڤييه" شعور بالبرد. أدرك أنها تتحدث عنه وعنها وأن نبرتها الحزينة ليست سوى صوت الحقيقة.

الفصل الرابع عشر

كانت السيدة "بريمونتيه" مازالت تثرثر بينما يبذل السيد "بريمونتيه" بعض الجهد ليسمعها، وهو ناعس وعندئذ سمع صوت سيارة تنطلق.

في هذه اللحظة دخلت "إيزابيل" مندفعة إلى المكتبة وبدا كأنها ستقول شيئاً إلا أنها صمتت.

سألت السيدة "بريمونتيه" في تعاظم:

– هل رحل "جورج" دون أن يستأذن؟

لم تجب "إيزابيل" ولكن سمع صوت محرك سيارة أخرى. جحظت عينا السيدة "بريمونتيه" في دهشة وتوجهت إلى النافذة. رفعت الستارة... لم ترَ شيئاً فقد كان الظلام بالخارج.

قالت غير مصدقة:

– كيف تأخر الوقت هكذا؟

قالت "بيبي" مغتاظة لأنها منسية في ركنها:

– حل الظلام منذ وقت طويل، ما كل هؤلاء الذين رحلوا؟

صفق الباب وسمع صوت أقدام تصعد السلم بسرعة.

قالت "إيزابيل" التي بدت سعيدة بغضب أمها المتزايد.

– إنها "ماجالي".

تأوهت الأم وهي تعقد يديها:

– ماذا يحدث؟

نهض السيد "بريمونتيه" في حرص.

"لقد شعر أن جرس الإنذار قد رن ينبهه بأنه سيطلب رأيه في أمور تثير الضجر وغير نافعة، وأن رأيه لن يتوافق أبداً مع رأي زوجته.

لم تحاول زوجته أن تمنعه مقتنعة بأنها ستجد في "إيزابيل" ما يرضي روحها القلقة.

ظهرت "ماريت" في براءة عند باب المكتبة.

سألت:

– كم عدد السادة الذين سيتناولون العشاء؟

التفتت "إيزابيل" فجأة وقالت:

– ولا واحد.

فتحت "ماريت" فمها في دهشة لكنها لم تقل شيئاً واستدارت.

قالت السيدة "بريمونتيه" مرددة:

– لا أحد؟

رددت "إيزابيل".

– لا أحد.

وأضافت:

– لست أدري إذا كانت "ماجالي" ستتناول العشاء.

وبعد ذلك خرجت على الرغم من رجاء والدتها لها بأن تبقى وتهديدها لها بأن تفقد الوعي.

بقيت السيدة "بريمونتيه" بمفردها ولم يغش عليها. كان هناك العديد من الأشياء الأخرى التي يجب أن تعرفها حتى تكتمل الدراما. نهضت بسرعة وصعدت بدورها السلم وراحت تدق باب غرفة "ماجالي"، في البداية لم تجب "ماجالي". حاولت السيدة "بريمونتيه" فتح الباب فوجدته مغلقاً بالمفتاح. دقت الباب بقوة وقالت آمرة:

– أنا أمك يا "ماجالي" وآمرك أن تفتحي!

أدخلتها "ماجالي" لكنها لم تجب على نظراتها المتسائلة. بدت غير مبالية. وراحت لتجلس على المقعد الذي تركته لتفتح الباب. وأخيراً جلست السيدة "بريمونتيه" بدورها وبادرتها بالحديث.

سألتها بحدة وهي تشدد على كلماتها لتوضح لها أن الأمر لا يمكن أن يكون غير خطير:

– ستقولين لي يا "ماجالي" ماذا يحدث؟

أجابت "ماجالي" بصوت غريب:

– لا شيء يهم. لكني سألخص لك حتى لا تطرحي علي أسئلة أكثر: رحل "زافييه بوتارد" بمفرده ولن أتزوجه. وسأذهب غداً إلى "باريس".

سيوصلني "جورج" بالسيارة... لا تتوهمي بأشياء غير صحيحة، لن أتزوج "جورج" أيضاً.

بقيت السيدة "بريمونتيه" صامتة لحظة أمام تلك الأحداث غير المتوقعة والسلوك غير المعتاد لـ"ماجالي" ... نسيت للحظات مواهبها التراجيدية.

وقالت أخيراً في هدوء:

– ولا هذا الآخر...

عادت إليها هوايتها في التمثيل ورفعت يديها إلى السماء. قالت "ماجالي" في ضيق:

– أرجوك يا أمي كفي عن أن تغضبي نفسك لأشياء ليست ذات أهمية. على أية حال، لن تتغير مشاريعي لأنك تنوحين لساعات.

إن "ماجالي" وقحة!...

هذا شيء لا يصدق!

نهضت السيدة "بريمونتيه" كأنها إنسان آلي وخرجت دون أن تنهض ابنتها.

وعلى درجات السلم دمعت عيناها بدموع حقيقية. لقد كانت "ماجالي" لها دائماً ميناء آمنا وسبباً للراحة، وملاذاً يجعلها تنسى أنها تتقدم في السن... لقد كانت "ماجالي" تسمع وتبتسم وتجامل دائماً...

شعرت السيدة "بريمونتيه" أنها فقدت شيئاً ثميناً وإلى الأبد، شيئاً لم تعرف قيمته إلا في هذه اللحظة. كفكفت دموعها ونزلت السلم مستندة في ثقل إلى الدرابزين.

مر العشاء في جو كئيب بين "إيزابيل" التي تأكل بدون شهية و"بيبي" التي تطرح أسئلة لا يجيبها أحد. حتى إن الدموع قد تصاعدت إلى عينيها، وكان غياب "ماجالي" قد زاد حزنها.

لقد دقت عدة مرات على بابها ولم يرد عليها أحد. حتى تدخلت "إيزابيل" وقالت وهي تجذب "بيبي" برفق:

– "ماجالي" نائمة. إنها متعبة جداً.

لم يفهم السيد "بريمونتيه" شيئاً من حديث زوجته الذي تخلله دموعها للمرة الأولى منذ وقت طويل. حاول بصدق أن يفهم وقد لاحظ أن حزن زوجته كان حقيقياً. ربت يديها في رفق دون أن يقدم لها دعماً معنوياً حقيقياً.

أما "إيزابيل" فقد تحولت إلى حائط صامت. وأدركت والدتها أنها لا تستطيع أن تأخذ منها أية معلومات.

في صباح اليوم التالي في ساعة مبكرة. كانت "ماجالي" قد رحلت دون أن يسمع أحد صوت سيارة "جورج". تركت رسالة

مختصرة جداً لوالدتها عبرت لها فيها عن اعتذارها لها لما سببته لها من ألم. أضافت أنها تنوي أن تقيم شهراً في "باريس" لتبحث عن شقة ثم تعود لتأخذ "بيبي" إذا وافقت والدتها أن تعيش معها. أضافت أنها لا تحتاج إلى شيء وأنها ستأخذ أغراضها من عند أسرة "بوتارد".

كانت رسالتها فاترة. أعادت السيدة "بريمونتيه" قراءة الخطاب عدة مرات في حزن، وكان إعادة قراءته سوف تزيده وضوحاً.

قرأت "إيزابيل" الرسالة بدورها وخرجت إلى الحديقة. سارت عدة مرات في نفس الممر وهي تعض شفتها. ثم ذهبت في اتجاه قصر "بيوميراك" بخطى واثقة، وهامتها مرفوعة في تحدٍ وشجاعة...

عندما وصلت إلى القصر الهادئ شعرت بتردد ولكنها فزعت عندما رأت "جورج مونيه" خارجاً:

– كنت أعتقد أنك... أنك ذهبت...

نظر إليها "جورج" دون أن ينطق بكلمة.

ثم نزل وجذب ذراعها في رفق:

قال في هدوء:

تعالي، أريد أن أحدثك.

تحررت من قبضته:

– لا أستطيع، لابد أن أقابل "جاك". الأمر عاجل! إذا لم أره الآن فلن أجد الشجاعة مرة أخرى...

توقفت كأنها قالت الكثير.

سأل "جورج":

– الشجاعة من أجل ماذا؟

وعندما لم تجب، أضاف:

– "جاك" ليس هنا.

انعكس القلق في عيني "إيزابيل".

قالت راجية:

– يجب أن أراه. أين هو؟

صاحت في يأس:

يا إلهي! أنا السبب في كل ذلك.

انهمرت دموعها بينما نظر إليها "جورج" وهي تبكي كأنه يشاهد معجزة، غير مصدق ودون أن يفعل أي شيء ليهدئها... وبعد لحظة أمسك كتفيها في حنان وقال:

– تعالي، دعينا نخرج من هنا إن "فيلامون" يملأ عينيه من مشاهدتنا.

أطاعته في هدوء، وعندما ابتعدا عن الأنظار ساعدها على أن تجلس تحت شجرة البلوط بعد أن وضع معطفه على الأرض؛ ليحميها من البرد.

توقفت "إيزابيل" فجأة عن البكاء كما بدأت فجأة.

سألته:

– هل تعرف أين "جاك"؟

– نعم.

– ألا تستطيع أن توصلني إليه؟

– سيارتي ليست معي.

– ماذا فعلت بها؟

– إنها مع "جاك".

دارت هذه المحادثة دون أن ينظر كلاهما للآخر وبقيت الجملة الأخيرة معلقة في الهواء...

ساد الصمت بينهما وبقليل من التفكير توصلت "إيزابيل" إلى استنتاج كانت تتمناه ولكنه يؤلمها.

عادت إلى البكاء ولكنها الآن دموع صامتة بدون جهد.

أخذها "جورج" بين ذراعيه وهدهدها كأنها طفل.

– كل شيء أفضل على هذا النحو. أليس هذا ما تريدين يا "إيزابيل"؟

فجأة تحدثت كأنها مضطرة لذلك حتى تتحرر تماماً:

– عندما سمعت الطريقة التي أخبرت بها "ماجالي" "زاڤييه" بأنها لا

تستطيع أن تتزوجه لأنها تحب "جاك" كثيراً، وعندما شرحت له أنها قبلت زواجه رغماً عنها لأنها علمت بزواجي من "جاك"، شعرت أنه ليس من حقي أن أصمت وأن أحرمها من السعادة التي لم تكن لي، لكن لم تكن لدي الشجاعة... أردت أن أكلمك. اكتشفت أن "جاك" لم يكن يعرف بالمشكلات المالية التي يعانيها والده..

قاطعها "جورج":

– كنت صادقة إذن عندما أخبرت "ماجالي" بالعكس.

توردت "إيزابيل" خجلاً وسألته:

– هل قالت لك؟

أجاب "جورج":

– نعم، لقد روت لي كل شيء بالأمس في نوع من اليأس. مشكلات "بيوميراك" المالية، لقد سويت بطريقة اعتقد آل "بيوميراك" أنه أنا من تدخل لتسويتها.

قالت "إيزابيل":

– وهذا التدخل هل فهمت من صاحبه؟

أجاب "جورج":

كما فهمت أنت أيضاً.

خفضت "إيزابيل" رأسها. لم تفسر له أنها إذا كانت قد توردت فليس لما أفضت به "ماجالي" إلى "جورج"، ولكن لأنه اعتقد أنها قادرة على تخطيط خطة شريرة. لماذا توضح الأمور وقد فعلت كل شيء لكي يلصق به هذه التهمة.

قالت حالمة:

– الآن هما معاً بفضلك...

قال "جورج":

– ما لم أكن موجوداً لكنت فعلت نفس الشيء. أريد أن يعرف "جاك" و"ماجالي" ذلك.

قالت "إيزابيل" في مرارة:

– هذا لا يهم... لندعهما لنفسيهما... لابد أنه شيء طيب جداً أن

WWW.RWITY.COM

يجد الإنسان ما ضاع منه.

سألها "جورج" بتلقائية في سياق الحديث.

– هل تريدين العودة إلى المنزل؟ أخشى أن تصابي بالبرد.

قالت "إيزابيل" راجية:

– لا؛ ليس بعد؛ أخشى أن يكونا قد عادا..

قال "جورج":

– لن يعودا قبل المساء، سيسمرون علي أولاً... لقد وعدني "جاك" بذلك... يجب أن يعيد إلي سيارتي.

نظرت إليه "إيزابيل" في دهشة. لقد كان سعيداً على الرغم من أنه قد فقد "ماجالي" إلى الأبد.

استطرد:

– هناك شيء آخر يجب أن أقوله لك: لقد تحررت من "ماجالي" التي كانت تمثل لي فضائل نادرة وقيمة لأنني أتخيل هذه الفضائل فيك. لم أعد أخشاك كما كنت قبل ذلك... أنت لست سوى فتاة صغيرة تحتاج إلى من يحميها.

وعندما لم تقل شيئاً أضاف:

– سأنتظر الوقت الذي يلزمك..

لم تجب "إيزابيل" لكنها خفضت رأسها، ومن الممكن أن يعتبر ذلك موافقة.

أشعل "جورج" سيجارة.. بهذه الحركة البسيطة يعني أنه من الآن بدأ ينتظر..

تمّت بعون الله